

العدد (٣٥) ١٥/٩/٢٠٠٥



- السديريون يهمسون باغتيال الملك
- مدخل لفهم العنف القادم من الجنوب
- زلزال سياسي غامض في مكة
- ملك سعود جديد أم سادات آخر؟
- عملية الدمام: مواجهة كشفت هزال الأمن



سمعنا منه ما يكفي.. طلال والإصلاح الذي لن يأتي



مجزرة الوهابية لتراث المسلمين في الحجاز



الملك يمنع تقبيل يد الأمير سلطان

أولويات الملك وملفات المرحلة

في هذا العدد

الدولة المتنصِّلة

تمثّلت المشكلة الكبرى في الدولة ليس في كونها بلا قانون، بمعنى غياب الاطار التنظيمي لوظائف الدولة وبرامجها وسياساتها، ولكن في التشابك المعقّد في مراكز السلطة وصناعة القرار، ويكاد المرء يصاب بدوخة حين يتعقّب قنوات سريان القرارات وبخاصة الادارية منها حيث تتبدد الجهود في عملية اكتشاف المصادر النهائية التي كانت وراء سنّ تشريع ما (وليس بالضرورة أن يكون التشريع مكتوباً) ومن ثم كيف جرى تطبيقه. وإذا كان المواطن أصبح عارفاً لسبب أو لآخر منطلقات السياسات العامة التي تجري في الدولة، وقد يحدد أشخاصاً بعينهم يقفون وراء صدور قرار في واقعة ما فذلك لا يعني إكتشاف خارطة القرار من نقطة صدوره، مروراً بإجراءات تعميمه وصولاً الى تنفيذه.

كثيرة هي التعميمات الشفهية التي صدرت من قبل الامراء، وفي الغالب تتم تلك التعليمات في قضايا سالبة، أي بمعنى آخر تتضمن إنتهاكات صارخة للقانون وللحقوق، بل وأكثر من ذلك أن بعض التعميمات تأتي أحياناً متضاربة مع تعميمات أخرى صادرة من عدة جهات في الدولة، أو لنقل بصورة محددة من عدد من الامراء المتنافسين. وفي بعض الاحيان يصدر تعميم سري مكتوب يتّسم بالعمومية فتأتي التعميمات الشفهية عن طريق الهاتف أو المرسول الشخصي لهذا الأمير أو ذاك لتخصصه وتصرفه الى تطبيقاته المحددة، أي في الغالب سلبية.

تصل الى الدوائر الحكومية والمؤسسات شبه الرسمية طائفة إملاءات شفهية يطلق عليها في الغالب تعاميم، تفضي الى كسر القاعدة القانونية ومخالفة لمبدأ حقوقي. وقد إبتليت بعض الدوائر المتعلقة بالمنافع العمومية بتلك التعاميم التي تأتي بصورة مبعوث أو وكيل عن هذا الأمير وذاك، فيملي على المسؤولين في تلك الدوائر مايخالف نصاً قانونياً وحقّاً ثابتاً، كما نرى ذلك بوضوح في مصادرة الاراضي، ونزع الملكية العقارية، والاستيلاء على ممتلكات الغير.

يتخفى الامراء في الغالب خلف واجهات أخرى تدير بالنيابة عنهم عمليات انتهاك القوانين، ولا يتدخلون الا وقت الضرورة القصوى، عن طريق الضغط على الوزير المسؤول عن هذه الدائرة وتلك. ويمكن القول بأن سياسات الدولة في شكلها الاقصائي تمت عن طريق تعاميم شفهية، أي غير مسنودة بوثيقة أو قانون مكتوب، وبالتالي فليس هناك من هو قادر على أن يعبّر عن ظلامة وقعت عليه في ضوء مستند مادي يمكن التوسل به في مقاضاة أي من الأمراء أو الدولة برمتها، بل هناك ألف مبرر قوي وألف لسان اعتراض لدى الجناة للتنصّل من كل جرم إقترفوه.

هناك أمثلة عديدة للتدليل على المفعول التدميري للتعاميم الشفهية، ولا نظن بأن هنك مواطناً الا وقد أصابه من شظايا التعاميم الشفهية سواء أدرك ذلك سلفاً أو اكتشف ذلك لاحقا. يذكر أحد المواطنين النبلاء قصة إبعاده عن وظيفته بطريقة ماكرة كونه ليس من ضمن حاشية مدير أحد الدوائر، وبالمناسبة فهو الآخر ضمن حاشية أحد الأمراء. يقول هذا المواطن بأنه كان مرشحاً لتولي منصب مسؤول عن قسم من أقسام دائرة ما، وقد نجح في إختبارات الأهلية الى جانب سيرته الحسنة ومواظبته على الدوام خلال مايربو على العشر سنوات، ولكن فوجىء في اليوم التالي بأن شخصاً آخر لم يتجاوز عمره الوظيفي في المؤسسة شهرين يفوز وبدون منازع في الترشيح للمنصب من قبل مدراء الادارة. وقد حرّك هذا الزيغ الفاضح حاسة الاستكشاف لدى المواطن النبيل فقرر تقصي خيوط اللعبة، ولكنه فقد الأمل في منتصف الطريق، فقد تنصل جميع المدراء من أدنى المستويات الى أعلاها من المسؤولية، وكل يقول بأني لست مسؤولاً عما جرى.. لقد توصل هذا المواطن الى ان ثمة قوة خفيّة تدير في جنح الظلام خيوط اللعبة.

لاشك أن هذا المثال يتكرر وقد تكرر كثيراً في تاريخ هذه الدولة، وهو يلمح الى ما عبّر عنه الكاتب العراقي حسن العلوي بدولة المنظمة السرّية مع فارق أن العراق كان يدار عن طريق منظمة حزبية وهذا البلد يدار عن طريق منظمة قبلية، مع احتفاظها بخصائص الحزبية الضرورية لتشكيل عصبية بالمفهوم الخلدوني.

على مستوى أكبر، نتساءل أحياناً عن بعض القرارات الغاشمة التي صدرت بإزالة أثر إسلامي هناك، وموضع تاريخي هناك في مكة المكرمة والمدينة المنورة.. في نظرة على المراسيم الصادرة عن الملك أو ولي العهد ولاسيما في عهد الملك فهد تبدو اللغة في غاية العمومية من قبيل الاعتناء بآثار منطقة الحرم المكي، أو تعمير المسجد النبوي، ولكن حين يجري تنفيذ تلك المراسيم تبدو اللغة غير اللغة، إذ يصبح الاعتناء بالآثار متكافئاً من ناحية الفعل على الارض مع إزالتها ومحوها، ويصبح تعمير المسجد النبوي متكافئاً مع تدمير الآثار الاسلامية القريبة منها، بل وإخراج قبره من المسجد لو أمكن ولا قدّر الله لهم فعل ذلك.

إن شبكة الاشباح المنبثة في جسد الدولة تمارس دوراً لوجستياً غاية في الاهمية كونها تدير في الخفاء لعبة الزيغ التي عن طريقها تتلبى أغراض الكبار.. إن للأمراء وجهين: العلنية الرسمية بطابعها الدولتي والوطني، والسرية النفعية بطابعها الفئوي والعصبوي، وهم في ظاهر الأمر أحرص على الابقاء على لمعان الوجه العلني، ولكن في واقع الامر أشد حرصاً على تحقيق مآربهم الخاصة، وإن أفضت على المدى الطويل الى تهديم أعمدة الدولة وأسس بقائها.

لقد أحدث الجناح السديري بدعاً كثيرة، ليس منها فحسب تقبيل الايدي والانحناء للملك والأمراء الكبار، وهي عادة أحسن الملك عبد الله صنعاً بإلغائها فقد مثّلت أكبر إهانة لمجتمع لم يعرف الذلة والمسكنة لغير الله، وهناك من البدع الاخرى ما يصعب حصره ومنها: التعاميم الشفهية، واطلاق الوكلاء في أرجاء البلاد بحثاً عن غنائم في الارض والبناء والزرع والضرع حتى فجّرت شهية من علا ومن دنى من الامراء ليدخل في مسلسل النهب.

ثمة في الوقت الراهن نزعة تجاوز الفوضى الادارية، لغرض إعادة تنظيم عمل الاجهزة وتحقيق درجة ما من التنسيق بين هذه الاجهزة بما يتوافق مع نوايا صادقة على الاقل هذا ما نأمله من الملك عبد الله، ولكن اذا ما أريد لوضع حل حاسم فلابد من فهم صحيح للمشكلة، فإن فوضى الدولة لا يصلحها الا حكم القانون ونحن بانتظار ذلك، قبل أن يتنصل الجميع.

سمعنا منه ما يكفي!

طلال بن عبد العزيز والإصلاح الذي لن يأتي

شغلنا الأمير طلال لسنوات طويلة حول موضوع الإصلاح في المملكة.

فهو أمير يرغب في إضفاء صفة الإصلاح على نفسه، ولعلّه كذلك ـ بالمقارنة مع إخوته ـ وقد تكون له نوازع وطموحات في أن يصبح ولياً للعهد وملكاً في يوم ما.

لكن هذا الأمير الذي كان يفاجأنا بين الفينة والأخرى بعبارة تدعو الى الإصلاح، مرة تتعلق بحقوق المرأة ومرة حول الإنتخابات ومجلس الشورى، ومرة ثالثة عن المجتمع المدني وغير ذلك، لا تكفي تصريحاته هذه وتلك لاعتباره أميراً (أحمراً) كما كان يُزعم سابقاً.

الرجل رسم لنفسه حدوداً واضحة، وهو لا يريد تكرار تجربته النضالية في الستينيات الميلادية.

هو يريد بقاء العائلة موحّدة، ولو خيّر بين الإصلاح وزوال العائلة او حتى انشقاقها وحدوث ضرر لها لاختار مصلحة العائلة المالكة قبل مصلحة الوطن وقبل الإصلاح السياسي والإجتماعي.

ثم إن الأمير طلال لم يعد يطالب بإصلاحات جذرية كتلك التي دعا إليها في الستينيات، والتي كان من بينها إيقاف مخصصات العائلة المالكة (بالتدريج) كما لا يقبل بتحجيم صلاحيات العائلة المالكة في صناعة القرار بنحو كبير.

باختصار فإن الأمير طلال يبدو وكأنه يبحث عن دور له في الحكم لا يتأتّى إلا عبر تمييز نفسه برسالة أو قضية قد تزعج القابضين على السلطة من أجل أن يحصل على شيء منها. أي أنه يستخدم الدعوة الحذرة الى الحريات كمركب للوصول الى السلطة وإلغاء قرار تهميشه الطويل من السلطة.

هذا ما يمكن فهمه من خلال مقابلاته المتعددة وفي مقدمتها الحلقات التي قدمها مع أحمد منصور في الجزيرة قبل بضع سنوات.

ويبدو أيضاً أن الأمير لا يعدو مجرد صوت خافت في العائلة المالكة يشكك فيه الكثيرون داخلها وخارجها، وهو لم يقم بمبادرة شعبية لدعم الإصلاح، كما لم يتقدم بمبادرة مباشرة للعائلة المالكة نفسها، ولم يتوضح أنه يؤسس لتجمع (إصلاحي) بين الأمراء كما حدث سابقاً (الأمراء الأحرار). بل كل ما هنالك مجرد صوت وحركة فرد تذكرنا بالإصلاح بين الحين والآخر.

كانت تصريحات ودعوات طلال ذات قيمة قبيل ٩/١١، أما اليوم فإن ما يقوله دون مستوى المطالب والطموح، ولا يمنحه التميّز الذي كان واضحاً قبل سنوات، أي أن الساحة السياسية المحليّة تكاد تكون تجاوزته منذ زمن.

والأمير طلال الذي التفّ حوله في فترات سابقة بعض المثقفين الذين يتناغمون معه في الرأي، سرعان ما انفضّوا عنه، أو انفضّ هو عنهم أو عن بعضهم، وفي مقدمة هؤلاء الإصلاحي المعروف محمد سعيد طيب الذي تعرّض لنقد ـ أقرب الى الشتم ـ من الأمير طلال لأسباب تافهة. ومع أن طلال مدّ جسوراً لمثقفين إصلاحيين في السنتين الماضيتين إلا أن أحداً منهم لم يعد ينتظر منه شيئاً ذا أهمية، وكأن كل الذي يقوم به مجرد مفرقعات إعلامية، خاصة وأنه لم ينبس ببنت شفة حين تمّ اعتقال الإصلاحيين وزجّهم في السجون. والمعلوم أن الدكتور الحامد كان قد التقى بطلال عدّة مرات واستجاب لدعوات لقاءات في بيروت وفي المملكة.

ولهذا فإن الذين يتحدثون عن (أمير إصلاحي) هم أقرب الى الوهم.. فالرجل وحسب السنوات الماضية لم يظهر منه غير بعض التصريحات قليلة الفائدة، أما تأسيس فعل على الأرض فهذا أمر آخر.

لهذا نحن نميل الى أن الأمير طلال هو مجرد طالب سلطة، شأنه شأن إخوانه، وأنه ملكي لا يختلف عن إخوته الذين ينتقدهم ما لم يثبت ذلك عملاً وليس قولاً في المجالس المغلقة.

ولعلّ مجيء الملك عبد الله الى الحكم يشكّل فرصة للأمير طلال للحصول على موطئ قدم باعتباره أحد أبناء عبد العزيز.. وإذا ما اعتمدت قاعدة السن فإن له حصّة فيها قد يبدو أنه طامع في شيء كثير منها، أو على الأقل أن تحوّل هذه الحصة الى إبنه الوليد بن طلال، شأن طلال في ذلك شأن إخوته الذين يقرّبون أبناءهم وينصبونهم.

إن ظهور طلال بمظهر الأمير المثقف والإصلاحي كان يمكن أن يعني شيئاً مهماً للبلاد، فيما لو قرر تفعيل دوره بشكل جادّ، وليس المشاغبة عبر تصريحات مكررة لا يُعلم حتى الآن مدى قبولها من قبل الأمراء الآخرين؛ بل لا يعلم مدى صدقيتها في الأساس.

فحتى اليوم، هناك ميلٌ شديد الى الإعتراف بحقيقة أن العائلة المالكة ككتلة كبيرة هي عائلة بعيدة كل البعد عن الإصلاح، وأنه لو كانت هناك بين صفوفها شخصيات إصلاحية ـ على غرار ما كان موجوداً في البيت العثماني رغم فارق عدد أفراد الأسرة الحاكمة في كلا البيتين ـ لظهر خلال السنوات الأربع الماضية، والتي شهدت فسحة للجميع، لظهر عدد من الأمراء ليتحدثوا عن آرائهم وتصوراتهم وأفكارهم. للأسف لم يظهر أمامنا أحد من الأمراء إلا وكان ضد الإصلاح السياسي بصورة أو بأخرى، كالقول بأن الإصلاح عملية

مستمرة منذ قيام الدولة!، وفي بعض الأحيان يظهر الأمير الواحد بأكثر من وجه، فهو حين يصرح للصحافة المحلية يكون مستبداً وحين يتحدث للأميركيين وصحافة الغرب يتقمص دور المصلح والداعية (أبناء فيصل وبينهم وزير الخارجية كنماذج).

لو قيل اليوم من من الأمراء في جانب الإصلاح، لما وجدنا إسماً يذكر، اللهم إلا الأمير طلال نفسه.. أما البقية فهم إما صامتون ليس لهم من الأمر شيء، أو لأنهم في السلطة ويخشون من أن تقلص الإصلاحات سلطاتهم.

في ظل الملك الجديد، ولا نقول العهد الجديد، هناك فرصة لا تزيد عن عشرة بالمائة لتبنّي الإصلاحات.. فرغم أن الصحافة المحلية بدأت تتحدث بخجل عن الإصلاحات السياسية (مقالة كل إسبوعين أو ثلاثة!) تظهر نشازاً بين ركام التسبيح والتحميد، فإننا لم نسمع من أي أحد من الأمراء القابضين على السلطة بأن هناك شيئاً من الإصلاح السياسي ينتظر التطبيق أو التبنّي أو حتى الإعلان.

إذا كان الأمير طلال يريد مجرد الوصول الى السلطة، أن يكون جزء من ماكنتها بدل أن يكون هملاً على هامشها لا شغل له إلا بعث بعض الدبابيس لإخوته، فإن هذا القدر من الطموح سيكون سهل التحقق له ولإبنه الوليد، عبر تفعيل دور الأخير المالي، وعبر التواصل مع الملك الجديد والإنحياز له. لكن هذا لا يعني إصلاحاً، بل مجرد طلب سلطة.

بمجرد أن تولى الملك الجديد الملك، بدأ طلال يذكّر إخوته بأنه موجود وأخذ يستخدم نفس التكتيكات: نريد إصلاحات! إبنة طلال ذكرتنا بادئ ذي بدء بأن الأمير لازال حياً! وطالبت الأمراء الكبار الإستفادة من عبقرياته، أي أنها طلبت بحصّة من الحكم لأبيها الذي سارع وقال بأن ما قالته ابنته (في تصريح سياسي نادر من أنثى سعودية تنتمي الى العائلة المالكة!) يعبّر عن رأيها الشخصي!

ولكن طلال عاد وقدّم عدّة تصريحات، كان أهمها حديثه الى مجلة دير شبيغل الألمانية ولإذاعة مونت كارلو. دعا في اللقاء الإذاعي الى اعتماد دستور ومجلس تشريعي بصلاحيات رقابية وقال: (نحن نعتقد انه من الضروري ان نبدأ بالاصلاح السياسي في السعودية، اي وضع نظام اساسي جديد، اي ما يعرف في العالم الغربي بالدستور يكون عقدًا اجتماعيا بين الحاكم والمحكوم ويساير الثوابت المعروفة في السعودية من الناحية الدينية ومن ناحية التقاليد الصحيحة وليس التقاليد الدخيلة). واضاف طلال: (علينا ان نساير القرن الحادي والعشرين وكل هذه المطالب مشروعة ولا تتعارض مع الثوابت وجوهر الدين الاسلامي). وأكد على أن (المراد هو اصلاحات سياسية بالدرجة الاولى ثم اقتصادية واجتماعية).

وتابع بأنه يدعو الى قيام (حكم دستوري مثل الاردن والكويت او البحرين) وليس على النحو الذي دعا إليه الإصلاحيون في الوثيقة الدستورية المعروفة، حيث انتقد طلال الإصلاحيين فقال أنهم: (ارتكبوا هفوة عندما طالبوا بملكية دستورية) لأن ذلك فسر على أن الدعوة تتضمن أن الملك يملك ولا يحكم (وهذا من الصعب جدا ان يكون موجودا في اي دولة عربية، على الاقل في المستقبل المنظور وفي الزمن المتوسط). ولكن طلال عاد واقتنع باصلاح جزئي لمجلس الشورى بحيث يمنح (بعض الصلاحيات وتحويله الى شبه مجلس تشريعي رقابي له حق المساءلة.. يجب ان يتطور مجلس الشورى الموجود الان رغم انه غير منتخب لكن فيه عناصر جيدة ومميزة يجب ان تحال اليهم هذه الامور والانظمة المستقبلية ومنها قانون الانتخابات وكل الامور ليدرسها مجلس الشورى ويعطي هذا المجلس بعض الصلاحيات وتحويله الى شبه مجلس تشريعي رقابي له حق المساءلة).

في حديثه لمجلة دير شبيغل قال طلال: (أفضل ان ينتخبني الشعب نائبا في البرلمان على ان أكون ملكاً)، وقال أنه يختلف مع الملك عبد الله من جهة أنه يستعجل تطبيق الديمقراطية والحرية والشفافية والملك يؤثر التريث، مشيراً الى ضرورة وجود برنامج إصلاحي معلن وملتزم به (وهذا ما ينتظره الناس). وحذر أنه ما لم يبادر الى الإصلاح السياسي فإن الفوضى ستعم وستكون المطالبة بفيدراليات. وتابع: (علينا التخلص من عادة التكتم على الاشياء، فعلينا احترام مبدأ الشفافية فلا اصلاحات بدون شفافية).

كلّ هذا كلام جميل!

وهو إن لم ينفع، فإنه لا يضرّ!

الأمير لديه فسحة من الحرية ليتحدث ضمن إطارها هي أوسع من الفسحة المتوفرة لغيره من المواطنين.

ومع هذا، فإن الأمير طلال لم يستثمر هذا الهامش المتاح له على أحسن وجه.

ذات الأمر ينطبق على الإمكانات الأخرى، فطلال لم يستثمر إمكاناته ـ أو إمكانات إبنه ـ المالية لتشكيل تحالف صلب للإصلاح داخل وخارج العائلة (بديل إصلاحي).

أضف الى ذلك، فإنه لم يستثمر علاقاته الدولية والإقليمية، العربية والأجنبية، لطرح نفسه كبديل إصلاحي، أو لتشكيل لوبي ضغط على إخوته من أجل التغيير لديمومة الحكم.

على العكس من ذلك، ثبت أن طلال كان شديد القلق من الضغط الأميركي (الصديق) الى حد أن دعوة عشاء على شرف السفير الأميركي السابق في الرياض قال فيها الأخير بأن عبدالله سيكون آخر ولي عهد (من أبناء الملك المؤسس). فطفق طلال يتصل بإخوته، المنافسين والمعادين، يعلن براءته مما قيل، ويندد به!

وطلال زيادة على ذلك لم تشهد له السنوات الأربع الماضية التي شهدت حراكاً إصلاحياً محلياً واضحاً أنه كان يدعم التوجه ذاك، فضلاً عن أن يدافع عنه.

كل هذا يقودنا الى الإستنتاج بأن طلال ـ وإن كان أفضل من إخوته الآخرين ـ من جهة الشكل والديكور، فإنه لا يختلف في الجوهر عنهم. ولربما لو وصل الى الحكم، لفعل ما فعلوا.

لقد أتعبنا الأمير طلال بمتابعة تصريحاته التي هي تغريد (حسن) خارج السرب.

والمطلوب منه إمّا أن يتحرك كرجل مؤمن حقاً بالحرية والديمقراطية ويدفع ـ كغيره ـ ثمن الإصلاح بفعالية وعزم لا يلين وبإيمان صادق بمستقبل زاهر لأبناء البلاد، وإمّا أن يصمت. فقد سمعنا منه ما يكفي.

الملك الجديد يستعيد صلاحياته شيئاً فشيئاً

السديريون يهمسون باحتمال إغتيال الملك

ذهب بها الملك فهد! فقد منح نفسه لقب (خادم الحرمين الشريفين). بالعربية هو خادم للحرمين، ولكن بالإنجليزية هو (حامي الحرمين) وهو لقب كان العثمانيون يطلقونه على أنفسهم، حتى بعض الملوك السعوديين كانوا يستخدمون هذا اللقب حين يحتاجون إليه في المناسبات (الملك فيصل).

الملك الجديد بدا وكأنه يلبس ثوباً خاطه غيره!

فأراد أن يكتب له مأثرة من ذات الصنف، فلم يجد إلا (منع تقبيل الأيدي) وليته منع تقبيل الأكتاف والأنوف أيضاً، مع علمنا أن الملك الجديد يكره ذلك أيضاً، وينسجم مع نفسيته المتواضعة بالقياس الى السديريين (سلطان ونايف) المهووسين بتقبيل الأيدي!

أصدر الملك بياناً بمنع تقبيل الأيدي، وحسناً فعل!

وقد حمل البيان رسالة سياسية واضحة بأن المقصود بالمنع هو غريمه وولي عهده الأمير سلطان وزير الدفاع، ورأس الجناح السديري. وكأن البيان يقول للمواطنين: لا تقبلوا يد سلطان ونايف!

وكان بالإمكان أن يصدر سلطان نفسه بياناً يمنع تقبيل اليد!

بل (ربما) كان بإمكان الملك أن يقنع ولي العهد بأن يقلع عن عادته السيئة التي سعى من خلالها الى إذلال المواطنين، ولكن سلطان لا يقتنع، ولا يقبل!

ثم إن عبدالله ـ الملك ـ أراد أن يوجّه رسالة للشعب بأنه يمسك بزمام الأمور، وأنه يستطيع أن يفرض قراراته على إخوته وأبنائهم الذين كانوا والى ما قبل بضعة أشهر يركلونها جانباً ليظهروه بالعجز والتفاهة!

لقد أصدر عبدالله حين كان ولياً للعهد العديد من القرارات الهامّة وغير الهامّة التي لم تطبّق، فكانت قيمتها أقلّ من الحبر الذي خطت به.

إن الجهاز البيروقراطي بمجمله يقع تحت سلطة السديريين، وكان بإمكانهم حجب القرارات التي يصدرها عبدالله وعدم تفعيلها بل عدم تبليغها للمؤسسات والوزارات، وطالما شكا عبدالله والمقربون منه وأبناؤه من الأمر. حتى صغار الأمراء كانوا يتجاهلون أوامر عبدالله ـ ولي العهد يومئذ ـ الى حد أن سلطان بن فهد، رئيس رعاية الشباب، وبعد هزيمة السعودية كروياً امام ألمانيا (٨ مقابل صفر!) قتل لجنة كان قد أسسها عبدالله لمناقشة الوضع (الكروي!) للمملكة. وحين حدد موعد الإجتماع الأولى برئاسة عبد المجيد في جدة، سافر سلطان الى جنيف، وانتهى أمر اللجنة في حينه!

الأمر بالطبع يتعدّى الكرة والكرويين! فحين قرر عبدالله توثيق العلاقات مع إيران، إبان عهد رفسنجاني، رفض رموز التيار السديري الأمر، ووضع العراقيل الى اللحظات الأخيرة، بل فجّروا قنبلة أثناء زيارة رفسنجاني للرياض، ومن ثم زيارته لمسجد النبي والمشاركة في صلاة الجمعة، حيث قام الشيخ الحذيفي بسبّه وسبّ إيران والخميني والشيعة، فانزعج عبدالله، وجيء له بالحذيفي، فشتمه لأنه اعتدى على ضيوفه، فقال الشيخ بأنه لم يفعل سوى تنفيذ الأوامر، وأن الأمير سلمان هو الذي طلب منه ذلك!

ولا ننسى الشجار والملاسنة التي حدثت في مجلس الوزراء بين عبد الله (رئيس المجلس الفعلي) والأمير نايف، فحين سأل عبد الله الأمير نايف عمّا اتخذه من خطوات لمنع العمليات الإرهابية، ولماذا هي متصاعدة رغم المليارات التي تخصص لوزارة الداخلية، ردّ الأخير بأن سبب ذلك هو الحرس الوطني الذي يوزع السلاح على الإرهابيين! فجرى الشجار، وأوقفت الجلسة، وخرج الوزراء! ولم يكن نايف يقبل بأي سؤال أو تدخل في شؤون مملكته (وزارة الداخلية) وكان يسعى للحط من عبدالله بمناسبة أو بدون، مشيراً الى أنه ضعيف وتافه وغير قادر على فعل شيء.

الغريب أن (زعران) وزير الداخلية وسلطان كرئيس مجلس القضاء الأعلى والمشايخ الآخرين لا ينفذون ولا يقبلون أي أمر يأتي من عبد الله في شأن خاص بالدولة، وليس القضاء، ولكنهم يسمعون لسلطان ونايف والأول تعوّد إرسال شيكات الملايين إلى اللحيدان وأمثاله.

عزّيز، الطفل المعجزة، كان هو الآخر يستغلّ الصراعات من أجل النهب، وكان يصدر الأوامر لوزير المالية، بأن (خادم الحرمين) المقعد يأمر بكذا، ويطلب كذا! وفي إحدى المرات بلغ السيل الزبى، فطلب مليارات الريالات لحساب الملك (حساب عزيّز من الناحية الفعلية) فأطلع الوزير العساف ولي العهد على الأمر، وكان جواب ولي العهد بأن لا تحول أية مبالغ كبيرة! وأن يحوّل إليه عزيّز إن سأله. فلما جاء عزيز الى ولي العهد، قال له بأن خادم الحرمين يريد كذا وكذا، فرد ولي العهد بأنه يعرف ماذا يريد خادم الحرمين وأنه لا يحتاج الى هذه المبالغ الهائلة!

الآن يبدو أن أعضاء الجناح السديري غير قادرين على فعل الأمر نفسه بدون خوض مواجهة حادّة سيكونوا هم الخاسرين إن أقدموا عليها.

وقد عيّن ولي العهد مؤخراً لجنة حقوق إنسان حكومية، قد تنزل ضربة قوية بالهيئة الوطنية لحقوق الإنسان التي عيّن نايف (كل) أعضائها لغرض التستر على سوءات وزارة الداخلية وتجاوزاتها وإرهابها. وبالرغم من أن نايف يتحرك وكأنه ولي العهد القادم (مقابلة السفراء والوفود الأجنبية مثلاً)، إلاّ أنه لا يشعر بارتياح للخطوات الرمزية التي يتخذها عبدالله، ويخشى إن لم يتم التصدّي مبكراً له فقد يتمكن في النهاية من إقصائه عن المنصب. وهناك من (يهمس) بأن عبدالله (الملك) إذا ما تجاوز الحدّ فسيتم (اغتياله).

النظرة الى الآخر

هذا اسم كتاب للتربية الوطنية السعودية، هدفه تعميد خط الإعتدال والتسامح. وإذا بالكتاب يمتلئ شتماً للصوفية في الحجاز والروافض المجوس في الشرقية، والملاحدة المكارمة الإسماعيليين في الجنوب!

الأميركيون الذين يضغطون لتعديل المناهج، والقوى المحلية التي تشتكي من التطرف والعنف ويطالبون بالمراجعة، قال لهم ال سعود وكرادلة الحزب الوهابي بأنهم قد عدلوا مناهجهم، وشطبوا التطرف منها.

لكن الجميع فوجئ بالكتاب يوزع على المدارس!

أربعون ألف نسخة طبعت ـ هذا ما يزعمون ـ ووزعت وقد جرى سحبها!

المفتي قال أن الكتاب يخالف العقيدة!

هذه قمة التسامح والوطنية والإستجابة لمعطيات ما بعد عنف ٩/١١ وتفجيرات المملكة من شرقها الى غربها!

يبدو أن الوهابية عصيّة على التطويع، وأن هناك من لا يريد تطويعها، ونزع المتفجرات منها التي قد تودي بالبيت السعودي كله.

زلزال (سياسي) غامض في مكّة!

خبر صغير جاء في شريط أخبار (العربية) بأن مكة المكرمة قد تعرضت الى زلزال في الساعة الثانية صباحاً من يوم ١٢ سبتمبر بلغت شدّته نحو ١.٧ درجة على مقياس ريختر، وذلك بعد ساعات طويلة من وقوع ما سُمّي بـ (الهزّة). التلفزيون السعودي الرسمي، كما الإذاعة التزما الصمت بشأن الخبر، فيما أصاب السكان الذعر الشديد، وبعدها تحرّكت الماكنة الإعلامية السعودية ببطء للحديث عنه، لتقدّم معلومات متناقضة أشد التناقض. فمرة يقال بأن (الهزّة) إيّاها لم تكن هزّة واحدة بل عدة هزات أرضية ارتدادية أعقبت الهزة الأولى، ومرة يقال بأن الهزة الأولى بلغت ٣.٧ درجة، ومرة ثالثة هناك من حذّر من هزّات أخرى قد تكون أقوى مما وقعة كما قال محمد أسعد توفيق رئيس هيئة المساحة الجيولوجية، قد تشمل منطقة مكة المكرمة والمناطق الساحلية المطلة على البحر الأحمر.

التصريحات الرسمية لم تهدّئ الشارع القلق، خاصة أهالي مكّة. ولاتزال هناك العديد من الأسئلة تبحث عن أجوبة وعن أسرار التناقضات الرسمية وبالذات بين هيئة المساحة الجيولوجية ومركز دراسات الزلازل. من بين التساؤلات أن سكان حي العتيبية بمكة (حي فقير يسكنه نحو ١٠٠ ألف نسمة) هم وحدهم فيما يبدو الذين شعروا بالإهتزاز الشديد، وصحوا من نومهم على أصوات أربعة أو خمسة إنفجارات. فكيف تكون هناك انفجارات من جهة والحديث هنا عن زلازل، ثم لماذا لم يشعر بقية سكان مكة بالهزّة، طالما أن مركز الهزّة كما قيل هو البحر الأحمر؟!

الهزة أو الهزات المتعددة، او (الإنفجارات الغامضة) وإن لم تؤدّ الى خسائر بشرية أو مادية ملموسة، عدا تهشم الزجاج، إلاّ أنها تثير القلق من جهة أن هناك شيئاً ما يجري إخفاؤه من الجانب الرسمي. التفسيرات التي قدّمت حتى الآن غير مقنعة، فالبعض تحدث عن توسع البحر الأحمر المستمر وميل الخليج العربي الى الضيق، وأن الهزات ترتبط بوجود براكين نشطة في البحر الأحمر (غير معروفة) تساعد على حدوث الزلازل.

لكن الأقرب الى الصحة هو أن ما جرى مجرد تفجيرات، أو هو ناتج عن أعمال راديكالية قامت بها الدولة بتدمير جبال وغير ذلك.. ويرى الدكتور الجيولوجي عبدالعزيز رادين أن الهزة ليست ذات طبيعة جيولوجية بل هي نتيجة عمل الإنسان المتمثلة في الأعمال والخدمات الإستراتيجية كحفر الأنفاق وإنشاء المباني، وأوضح أن جدة تتعرض لنحو ١٥٠٠ هزة يومياً كلها لا يشعر بها السكان.

وبالرغم من وجود صدوع في البحر الأحمر قد تساعد على نشوء زلازل خفيفة، إلا أن المملكة عموماً بعيدة عن أحزمة الهزّات، وإن كانت منطقة الحجاز قد تعرضت تاريخياً لبعض الهزات الطبيعية، لكن هذه المرّة يختلف الأمر فيما يبدو. وهناك شكوك أبداها الكثيرون بأن الهزّة ـ المفاجأة أنها لم تُرصد من قبل محطات الرصد العالمية ـ لم تكن هزّة بالفعل، وإنما تفجيرات تحت الأرض، وهذا ما جعل مركز الدراسات الزلزالية ينفي حدوث أية هزة أرضية، برغم تأكيد هيئة المساحة الجيولوجية بحدوثها. أما التفسير الذي قدّمه المركز فهو أعمال تفجيرات القطع الصخري الكبير التي قد تكون قد حدثت سابقاً، الأمر الذي أدى الى تحرك طفيف للقشرة الأرضية التي تعاني من الإهتراء فتحركت بعض الصخور وصدرت أصوات ظنّها الناس انفجارات.

أياً كان السبب، فإن صمت الحكومة وتناقض معلوماتها، كما أن مشاريعها التي لا تحسب حساباً للتربة أفقد الأخيرة التوازن، وقد يؤدي في المستقبل الى انزياحات تشكل خطراً على السكان لا سمح الله. والمطلوب من الحكومة أن تقدّم إجابات حقيقية على تساؤلات المواطنين، وأن تلحظ من الآن فصاعداً تأثير المنشآت على القشرة الأرضية، وأن تكفّ أيدي أوباشها عن العبث بالجبال وتحويلها الى مشاريع إسكانية لهذا الأمير أو ذاك.

هزّات في التاريخ

الإهمال الحكومي قد يسبب كارثة

تعرضت منطقة مكة المكرمة الى ١٢ زلزالاً منذ العام ٨٠١م وحتى العام ١٩٩٤م وكانت تلك الهزات قوية وسببت أضراراً كبيرة، وبعضها وقع في البحر الأحمر فيما أثر بعضها الآخر على مكة وعلى البيت الحرام نفسه. وقد تعرضت المدينة المنورة هي الأخرى للعديد من الزلازل كان آخرها قبل نحو عشر سنوات (١٤١٦/٦/٢٩هـ) حيث وقع زلزال بقوة ٥.٨ درجة وامتدت قوته لتشمل منطقة تبوك والوجه وضباء؛ وقد سجلت حينها توابع للزلزال بلغت نحو ٧٥ هزّة تراوحت قوتها بين ٣.٨ و ٥.٣ درجة امتدت لفترة ثلاثة أشهر.

وهناك خشية من أن تؤدي الزلازل الى تدمير الأنفاق والى تدمير السدود وإمدادات المياه والجسور فضلاً عن المنازل والبنايات. ولهذا السبب طالب العديدون الحكومة باتخاذ إجراءات إنذار مبكر لحماية السكان وتوجيههم لأخذ الإحتياطات اللازمة. ويبدو أن الحكومة غير مهتمة بهذه الأمور، فقد انتقد رئيس مركز الدراسات الزلزالية الدكتور عبد الله العمري الجهات الحكومية لعدم تجاوبها لنداءات المركز وتحذيراته في أعقاب زلزال الشرائع قبل ١٢ عاماً، حيث قال: (حددنا المناطق الأكثر عرضة للهزات الأرضية وأطلقنا جملة من التحذيرات لكن لم يدرك أحد حجم المشكلة وليس هناك جهة تلزم المقاولين والمواطنين بالبناء وفق حساب مخاطر الزلازل) مشيراً الى أن العديد من المنازل في منطقة مكة بالذات لا تستطيع الصمود أمام الهزات. وحذر بأنه (إذا استمر مسلسل شقّ الأنفاق باستخدام مواد التفجير فإن ذلك ينذر بالخطر ويتسبب في هزات أرضية وزلزالية وتشققات في المباني).

ماذا يحمل الملك عبد الله في جعبته؟

توقعات أم آمال مستحيلة

وصول الملك عبد الله الى العرش مازال ينظر اليه بأنه زيادة مهمة بالنسبة لواشنطن، فقد إستقبلت الادارة الاميركية خبر تولي عبد الله العرش بنفس القدر من الارتياح الذي استقبله المجتمع السعودي، فالادارة الاميركية تحمل قائمة مطالب في هيئة مقترحات للملك الجديد الذي تحدوه الرغبة الجامحة في تصحيح الخلل العميق في العلاقة بين الرياض وواشنطن. يقول المراقبون في الولايات المتحدة بأن عبد الله كان متعاوناً مع الولايات المتحدة في الحرب على الارهاب، وأنه كان يتبنى موقفاً متقدماً من الاصلاحات في الداخل.

وكولي للعهد، يقدّم عبد الله نفسه بكونه ميّالاً تجاه الاصلاح أكثر من بقية أخواته، ليس أكثر من الملك فهد فحسب بل وأيضاً اكثر من أخواته الباقين. هكذا هي نظرة الاخرين في الغرب الى الملك عبد الله. وقد بقي سؤال مابعد رحيل الملك فهد: هل ثمة مفاجئة منتظرة في عهد الملك عبد الله في مجال الاصلاح السياسي وتغيير أسس نظام الحكم، أو حتى في علاقة الدولة بالمجتمع، واخيراً في العلاقات السعودية الاميركية.

بالنسبة لبعض المراقبين الغربيين، فإن وصول عبد الله الى العرش سيؤدي الى تركيز أكبر على السياسة الداخلية السعودية أكثر من إهتمامه بسياسة المملكة الخارجية. فالملك عبد الله، بحسب وجهة النظر هذه، كان يدير المملكة منذ عام ١٩٩٥ حين أصيب الملك فهد بأول جلطة في الدماغ، وقد كان للملك عبد الله والرئيس بوش عدة لقاءات في ابريل في كرافورد، ولذلك كان متوقعاً أن تكون هناك علاقات جيدة نسبياً في المستويات العليا بين السعودية والولايات المتحدة في السنوات القادمة.

على المستوى الداخلي، ومع وصول عبد الله الى العرش فإن ذلك يمنحه وزناً أكبر للدفع باتجاه اصلاحات محددة في الجوانب الاجتماعية والسياسية. ومع ذلك، فإنه سيواجه قيوداً من داخل العائلة المالكة، ولكن تغيير المنصب من ولي العهد الى ملك سيجعله في موقع أقوى.

فيما يتصل بالاصلاح السياسي، والذي يفترض أن يكون جزءاً من أجندة الرئيس بوش، فإن وصول عبد الله الى العرش يعتبر تغييراً مرحّباً به من قبل الادارة الاميركية. في الداخل، فإن عبد الله ينظر اليه باعتباره أكثر نقاءً وأقل فساداً من أخوته غير الاشقاء. وفي الفترة ما بين ١٩٨٠ والتسعينيات، فإن الفساد كان نقطة الاحتجاج الرئيسي ضد الملك فهد. إن انتقاد اسامة بن لادن لفساد البيت السعودي يتناغم مع كثيرين في داخل المملكة. بالنسبة لولي العهد عبد الله (الملك الحالي) فقد كان له يد ثابتة، ساعياً الى اجتثاث بعض من الفساد.

ومن الواضح، فإن عبد الله كان يتولى الحكم خلال السنوات الحرجة الماضي أي من الحادي عشر من سبتمبر، كما أتى أيضاً بخطة سلام للعرب والاسرائيليين عام ٢٠٠١ والتي صادقت عليها الجامعة العربية. ولكن السؤال هل يبقي الملك عبد الله على إهتمامه بالشؤون الخارجية؟

الانطباع حول الميول الاصلاحية للملك عبد الله لا يستند الى معطيات حقيقية والآمال المعقودة تتجاوز بكثير حدود المأمول منه

من المعروف عن الملك عبد الله، أو هكذا يبدو، اهتمامه الشديد بالسياسة الاقليمية أكثر من الملك فهد الذي كان ضالعاً وربما متورطاً في السياسة العالمية. إن هذا عائد جزئياً الى اختلاف الاولويات، ولكن في الجزء الآخر الى اختلاف الفترات التي حكم فيها كلاهما. حين كان الملك فهد يدير بفعالية الحكم، كانت السعودية متورطة بدرجة كبيرة في محاولة لتطويق الاتحاد السوفيتي، وفي الغالب معها ليبيا، والتمدد في أفريقيا، والشرق الاوسط، وافغانستان. كان المال السعودي وكذا رأسمالها السياسي مكبّلين في أفريقيا وآسيا الوسطى، وفي الاخيرة بخاصة، كانت السعودية متورطة في التمويل.


منذ متى كان إصلاحياً؟

صحيح، أن السعوديين ساعدوا في تمويل الكونترا في نيكاراغوا وتكشفت أوراق خطيرة في هذه القضية فقد كان الدور السعودي في عهد الملك فهد ذا صبغة عالمية. على خلاف ذلك، كان ولي العهد عبد الله مهتماً دائماً بمنطقة الشرق الاوسط، وتحديداً العرب والصراع العربي الاسرائيلي. ولذلك يعتقد بأن الملك عبد الله سيلعب دوراً كبيراً في السياسة الاقليمية وبخاصة فيما يرتبط بالصراع العربي الاسرائيلي مع أن خطة عبد الله التي قدّمها في فبراير عام ٢٠٠٢ قد جرى تعويمها مؤقتاً من قبل الملك عبد الله نفسه. ومن المفيد الاشارة الى أن هذه الخطة لا تتجاوز حد التطوير على خطة فهد التي لم يكن عبد الله قد أبدى حماسة كبيرة في الدفاع عنها في بداية الثمانينات. صحيح أن الملك فهد كان يطمح الى تجاوز والسير الى أبعد مما وصلت اليه الازمة العربية الاسرائيلية الا أن عبد الله لم يكن مقتنعاً بأهداف خطة الملك فهد وبالحدود المفتوحة التي رسمها لخطته.

ليس هناك من المراقبين والمتخصصين في الشأن السعودي من يرى تغييراً ملموساً في السياسة الخارجية السعودية في عهد الملك عبد الله وبخاصة في اطار العلاقات السعودية الاميركية. فالتغيير في القيادة لا يعني الكثير في مجال السياسة الخارجية، ولكن العشر سنوات التي تولى فيها عبد الله إدارة الدولة لحظنا إهتماماً متزايداً بالقضايا المحلية، مع قليل من التورط في مغامرات بعيدة جغرافياً كما فعل سلفه الملك فهد.

في الموضوع العراقي، لم يظهر حتى الآن للعلن في موضوع العلاقات العراقية السعودية غير تدفق كثير من المقاتلين من

السعودية، وهذا من شأنه أن يترك تأثيرات بالغة على الجانب العراقي الذي أصابه البلاء الشديد من وراء هؤلاء المقاتلين المدججين بالنظرات المتشددة على قاعدة دينية والاساليب القتالية الشرسة التي لا تفرق بين أحد من الشعب العراقي.

يعتقد بعض المراقبين بأن لن يكون هناك تغيير جوهري في الموضوع العراقي، ففي السنوات العشر الماضية التي كان يتولى عبد الله ادارة الدولة، كانت القرارات المتعلقة بالموضوع العراقي تصدر في الغالب من عبد الله نفسه، ولكن مع استثناء واحد فحسب هو التعاون الكبير والملحوظ بين الولايات المتحدة في الحرب التكتيكية على الارهاب والحوار المتواصل حول السعوديين القادمين الى العراق للقتال ضد القوات الاميركية وأيضاً القوات والشعب في العراق.

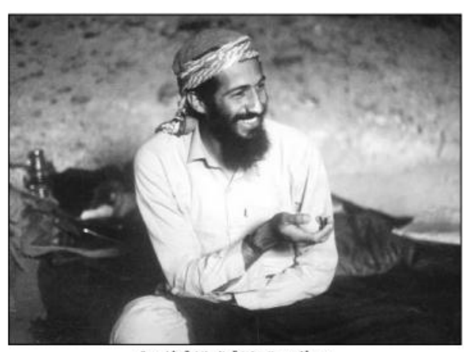
وفيما يبدي الاميركيون إهتماماً كبيراً بشأن السعوديين المتدفقين الى العراق، فإن الحكومة السعودية تبدي قلقاً من تدفق الارهابيين والاسلحة من العراق. إن هذا التضارب في الاهتمام أو قل تباين وجهات النظر في هذا الموضوع سيفرض على الحكومتين الاميركية والسعودية انشغالاً أكبر في المرحلة القادمة حول هذه القضية. وهنا تبدو قضية تعيين الامير تركي الفيصل



إعادة ترميم العلاقات مع واشنطن

(رئيس الاستخبارات العامة السابق والسفير السعودي في لندن لاحقاً) سفيراً في واشنطن ذات دلالة معينة في موضوع التعاون الامني والاستخباري بين واشنطن والرياض وبخاصة في موضوع ملاحقة المقاتلين في العراق وداخل السعودية على قاعدة الحرب على الارهاب.

يعتقد بعض المراقبين ان تعيين الامير تركي الفيصل سفيراً في واشنطن هو مؤشر واضح على جديّة مقاربة السعوديين للحرب على الارهاب ورغبتهم في العمل بصورة وثيقة مع الاميركيين. مع ملاحظة أن الامير تركي الفيصل، مع كونه الخيار المناسب، فإنه مازال ينظر اليه على أنه شخصية خلافية مثيرة للجدل بسبب لهجته المضطربة منذ الحادي عشر من سبتمبر. فهو يعرف العناصر التي عملت في مشروع الجهاد الافغاني، وقد ساعد كثيراً منهم، وهو يعرف ابن لادن شخصياً وقد كان على اتصال به. وحسب قول أحدهم فإن يديه ملوثتان، مع أن لديه ميولاً غربية قوية، وكان واحداً من السعوديين الذين شهدوا كيف بإمكان المتشددين الدينيين أن يتسببوا بمشاكل للمملكة والولايات المتحدة منذ زمن بعيد أي قبل أن يلفت إنتباه أحد من بلاده. وفيما لا يزال ماضي الامير تركي مثيراً للخلاف، فإنه لا يزال شخصية مؤثرة في موضوع مكافحة الارهاب. فليس هناك في هذا العالم يعرف أفضل منه عن هؤلاء الاشخاص الذين يشاركون في القتال وفي دورة العنف داخل وخارج المملكة.



بن لادن: العائلة المالكة فاسدة

لقد جاء الامير تركي بشيء آخر أيضاً، فمنذ أصبح سفيراً في المملكة المتحدة، كان ذلك بالنسبة له منصباً هامشياً الى حد ما، وبالتأكيد أقل أهمية من كونه رئيس الاستخبارات العامة. ولكنه الآن، أي مع تعيينه سفيراً في واشنطن، فإنه يحمل معه رسالة واضحة للادارة الاميركية تقوم على التفاهم معها حول الجيل الثاني من الارهابيين، أي أولئك الذين ولدوا أو نشأوا في اوروبا. وخلال إقامته في إنجلترا، كان الامير تركي الفيصل نشطاً في مسعاه لتخضيد شوكة بعض العلماء المتشددين. إنه سيقوم دون ريب بنقل هذه التجربة الى واشنطن، سيما فيما يتعلق بالحرب على الارهاب والتي كما هو اضح تمثل قضية رئيسية بالنسبة لادارة الرئيس بوش. ينظر كثير من المراقبين وبخاصة الاميركيين الى تعيين الامير تركي الفيصل سفيراً في واشنطن على أنه مؤشر جيد في العلاقات السعودية الاميركية. وتفيد هذه الاشارة على أن الملك عبد الله ملتزم بالحرب على الارهاب جنباً الى جنب الادارة الاميركية، كونه يسعى الى وضع رجاله المقرّبين في المواقع الهامة.

بالنسبة لموضوع الاصلاح، كقضية أخرى رئيسية بالنسبة لادارة بوش، فإن عبد الله كونه ملكاً يمثل من وجهة نظر الاميركيين مؤشراً جيداً. فخلال الفترة الماضية، وإبان توليه ولاية العهد قدّم الملك عبد الله نفسه على أنه مناصر للاصلاح السياسي أكثر من أخوانه، أو على الأقل قسم منهم. مع أن هذا الانطباع حول الملك عبد الله لا يستند على كثير من المعطيات على الارض تتناسب وطبيعة اللهجة والحماسة التي ظهرت عليه في السنوات القليلة الماضية، وبالتالي فإن الآمال المعقودة على الملك عبد الله تتجاوز بكثير حدود المأمول منه، فليس من بين الاصلاحيين السعوديين من ينتظر مفاجأة إصلاحية يقدّمها الملك عبد الله في عهده، ليس بفعل التجربة المخيّبة للآمال وموقفه غير المبرر من التيار الاصلاحي، ولكن أيضاً بسبب افتقار الملك نفسه لأجندة اصلاحية واضحة المعالم فضلاً عن كونه ينتمي الى الجيل القديم من الامراء المحافظين الذين يميلون الى إبقاء النظام على حاله مع تغييرات شكلية طفيفة.

قد يميل الملك عبد الله الى تفهم الحاجة الى قليل جداً من الانفتاح، على المستوى الداخلي على الاقل، عن طريق تشجيع الحوار الوطني غير الممتد والذي لم يعكس حتى الآن جديّة حقيقة لدى القيادة السعودية في استعمال الحوار كآلية لتسوية المشكلات الداخلية، بل لحظنا ان اللقاءات الفكرية التي عقدها مركز الحوار الوطني قد توقفت بعد أن فقدت بريقها بصورة تدريجية، وكذا الحال بالنسبة للمجالس البلدية نصف المنتخبة التي سريعاً ما طويت كصفحة لم تأخذ مفعولها في الثقافة السياسية للمجتمع فضلاً عن اضطلاع تلك المجالس بأدوار جوهرية في تقرير السياسات الخدمية في المناطق.

بالنسبة لرجال الدين، أو رجال هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والذين قيل بأن قيوداً صارمة فرضت على نشاطاتهم قد استعادوا قدراً كبيراً من القوة. قد يقال بأن واشنطن تجد في الملك عبد الله شخصية مناسبة للتفاهم معه حول الاصلاحات السياسية، وكونه سيجد داعماً قوياً في

معركته الاصلاحية مع اخوانه غير الاشقاء المعارضين وبخاصة العصبة السديرية الا أن ذلك مجرد تخمين غير معزز بمعلومات رصينة يمكن الاستناد اليها، كون هذا التخمين يقوم على فرضية وجود ميول اصلاحية حقيقية لدى الملك عبد الله، وكون الادارة الاميركية تبحث بالفعل عن شخصية اصلاحية في السعودية، بعيداً عن منطق المصالح الحيوية بين البلدين والتي قد لا تتوافق بالضرورة مع المسار الاصلاحي المزعوم.

ويبقى السؤال على فرضية وجود نزعة اصلاحية للملك عبدالله: من هم المنافسون الرئيسيون له؟ سؤال يسهل إجابته في الغالب كون التجربة السابقة تقدّم معطيات صالحة لتقديم إجابة سهلة وربما حاسمة. لقد ترك عبد العزيز، مؤسس الدولة، ستة وثلاثين إبناً، جمعتهم مصلحة عليا هي الملك، ولكن فرّقتهم المصالح الخاصة، فقد كان التنافس واحياناً التنازع على السلطة محتدماً بين الابناء طيلة التاريخ السياسي السعودي الحديث. وسيبقى هذا الأمر قائماً في الفترة الماضية وربما سيزداد شدة مع زوال الجيل الثاني ووصول الجيل الثالث الى الحكم. وسنرى بأن الانقسامات داخل العائلة المالكة هي إنعكاس لانقسامات داخل السكان بصورة عامة.

منافسو الملك المباشرون كما هو معروف هم الامير سلطان، وزير الدفاع والطيران وولي العهد الحالي، والامير نايف وزير الداخلية والذي مازال يطمع في الحصول على منصب النائب الثاني، والامير سلمان أمير الرياض. في مقالته المنشورة في مجلة فورين أفيرز الصادرة في يناير/فبراير عام ٢٠٠٤ بعنوان (التناقض السعودي) صوّر مايكل دوران، مساعد بروفيسور في جامعة برينتستون في قسم دراسات الشرق الادنى، صوّر التنافس داخل العائلة المالكة على هذا النحو (نايف ضد عبدالله) وقد ينظر البعض الى المقالة بأنها تبسيط كبير لقضية التنافس داخل العائلة المالكة الا أنها تعكس واقعاً قائماً داخل البيت السعودي الحاكم.

كان عبد الله ولي العهد والملك حالياً يحاول دفع المجتمع الى الامام نحو قليل من الانفتاح، وقليل من التسامح وقليل من الانخراط في العالم الخارجي أكثر مما يريده نايف، الذي بدا أكثر تحفظاً في تبني هذا الاتجاه. تجدر الاشارة الى أن نايف قد تبنى موقفاً متشدداً من قضية سواقة المرأة للسيارة وقمع مظاهرة النساء في التسعينيات، وهو الذي قام بقمع الناشطين في مجال حقوق الانسان وكذا دعاة الاصلاح، وهو المسؤول عن هجرة عدد من المقاتلين في الداخل الى العراق وتدعيم موقف المطاوعة. وفي المحصلة، فحيثما وجد هناك أي تعويق للاصلاح، فإن التعويقات كلها ترجع في الغالب الى الامير نايف.



نفط رخيص هو ما يهم أميركا

لقد مارس الانتقال الهادىء للسلطة عملية تضليل للمراقبين وبخاصة في الخارج، حيث أذهلتهم الطريقة التي تمت بها عملية تسليم السلطة الى الامير عبد الله، ولكن حقيقة الامر غير ذلك، فقد كانت السعودية تعيش أزمة سياسية خفية منذ عشر سنوات والتي كان فيها الاصرار على إبقاء الملك فهد الميت سياسياً قبل موته البيولوجي على رأس السلطة. وبحسب تعليق أحد المراقبين الغربيين، خلال عشر سنوات كانت هناك ملكية في السعودية ولكن بدون ملك، ولا شك أن هذا الأمر ترك أثراً بالغاً في داخل الملك الحالي الذي حال أخوته غير الاشقاء من الجناح السديري دون تمكّنه من السلطة بعد أن فقد الملك السابق قدرته على القيام بمهام الملك، وربما تنعكس بعض تأثيرات الازمة السابقة على قرار الملك في تعيين نائب ثانٍ له من الجناح السديري.

الادارة الاميركية تريد من الملك عبد الله مشاركة فاعلة في الحرب على الارهاب، والسلام مع اسرائيل، وضمان تدفق النفط بسعر رخيص

فإذا كان الملك عبد الله قد اختار سلطان نائباً أول له، فذلك بموجب التقليد المفروض من قبل الملك فهد وبالتالي فإن حصول الامير سلطان على منصب ولي العهد ونائب أول هو تحصيل حاصل، ولكن الملك عبد الله يحتفظ بورقة قوية قد تحدد مسار السلطة في المرحلة القادمة، وذلك بإختيار أمير غير سديري لمنصب النائب الثاني، وهذا يعتبر قراراً إستراتيجياً لو قرر الملك عبد الله تحقيق توازن داخل البيت الحاكم، وكذلك صناعة تحالفات جديدة في مواجهة التحالف السديري.

إن تعيين نائب ثانٍ للملك سيكون بلاريب معركة فاصلة، وإن تجاوز الامير نايف سيكون له مدلولات واضحة وكذا فيما لو تم إختياره نائباً ثانياً للملك حيث سيقوم بوضع الترتيبات الضرورية لتمكين نفسه في المواقع الرئيسية للدولة، فهو يمثل القوة المنافسة الأكبر للملك، كونه يتصادم، زعماً، معه في الموضوعات المفصلية المتعلقة بالاصلاح السياسي والاقتصادي وتقاسم السلطة والعلاقة مع الغرب اضافة الى موضوعات أخرى (طريقة تسوية ملف العنف، الفساد الاداري، نشاط المنظمات الأهلية والحقوقية، الاعلام). بالنسبة للادارة الاميركية فهي تميل الى شخصية أخرى غير الامير نايف، وليكن الامير سلمان الذي كانت واشنطن والى منتصف التسعينيات تفضل العمل معه، وقد كان مرشّحها المفضل منذ سنوات بعيدة، بالرغم من أنه أصبح مرشحاً باهتاً الى حدّ ما.

وعلى أية حال، فإن ميراث الملك عبد الله سيتحدد لا من خلال وصول سلطان الى العرش من بعده ولكن في طبيعة التموقعات المحتملة التي سيقوم بها خلال عهده، والتي ستحدد من سيأتي بعد سلطان.

بالنسبة لواشنطن هناك ثلاثة موضوعات أساسية في الوقت الراهن: دور جاد ومؤثر في الحرب على الارهاب، من خلال المساهمة في تعزيز الاستقرار داخل العراق، وذلك عن طريق وقف خطابات التحريض على القتال في المجتمع الديني، وثانياً: مشاركة فعالة في عملية السلام مع اسرائيل عن طريق تقديم مبادرة سلام تنتهي الى التطبيع التام يترافق معها ويخفف من وطأتها إدخال إصلاحات سياسية واجتماعية بالقدر الذي يسمح بعودة الهدوء في الداخل وفي الاقليم عموماً، وثالثاً ضمان تدفق الكميات المقررة والضرورية من النفط الى الولايات المتحدة مع التنسيق حول التسعيرة التي قد بلغت مستويات قياسية في الاونة الاخيرة، وذلك بخلاف رغبة الولايات المتحدة أحياناً. وفي واقع الأمر، سيظل النفط عاملاً استراتيجياً في العلاقات الاميركية السعودية، كون الاخيرة مازالت تلعب دوراً حيوياً في تعويض الاسواق النفطية بالكميات الناقصة إضافة الى دورها في المحافظة على الاسعار في السوق العالمية.

عملية الدمام

مواجهة كشفت هزال الأمن

إنتهت عملية الدمام ولكن شأنها شأن عمليات سابقة فتحت باب التساؤل والاستنكار على مصراعيه، حيث جاءت الصور والنتائج متناقضة مع بيانات وزارة الداخلية. لقد كشفت العملية عن ثغرات واسعة في جدار الامن، ليس من حيث حجم السلاح المنتشر وكميات الذخيرة التي كانت بحوزة الجماعات المسلّحة فحسب، بل وفي طريقة إدارة المواجهات العسكرية التي اتسمت بالبطء والعشوائية وضعف الخبرة.

وكما في المرات السابقة، كانت السفارة الاميركية في السعودية، الى جانب بعثات دبلوماسية وشركات غربية، تسبق وزارة الداخلية في إصدار بيانات التحذير حول عمليات مسلحة وشيكة للجماعات العنفية، ذاك قبل أن تتم المواجهة المسلحة في المدينة المنورة التي راح ضحيتها زعيم القاعدة في السعودية صالح العوفي، ثم ظلت السفارات الغربية تصدر تحذيرات متواصلة لرعاياها بشأن احتمال وقوع مواجهات مسلّحة قريبة.

لم يكن بيان السفارة الاميركية الصادر في الرابع من سبتمبر مقتصراً على عمليات المطاردة التي جرت في مدينة الدمام، بل هي تتعلق بدرجة أولى بمعلومات حصلت عليها السفارة من مصادرها الخاصة عن احتمال قيام الجماعات المسلّحة بعمليات إنتحارية ضد منشآت حيوية في المنطقة الشرقية الغنية بالنفط، وهو ما تأكدت منه قوات الامن بعد انتهاء العملية حين عثرت على كميات كبيرة من المواد المتفجرة والذخائر والمعدّة لعمليات واسعة النطاق.

تلك وغيرها من المعلومات تكشف عن أن الرواية الرسمية جاءت متهافتة وفي الوقت نفسه تبعث على السخرية فبينما تؤكد مصادر الداخلية على أن قوات الامن كانت تراقب منذ شهرين عدداً من المطلوبين من بينهم السياري والحربي الذين قتلا في منزل بحي المباركية بالدمام، أظهرت المعلومات المدعّمة بصور ملتقطة من مسرح العمليات أن الاستعدادات الامنية كانت في أدنى مستوياتها، بل وتثير أسئلة جدية حول الكفاءة الامنية والقتالية لدى قوات الامن. يضاف الى ذلك، أن مصادر أمنية ذكرت خلال سير عمليات المواجهة المسلّحة مع المطلوبين أن فرقاً متخصصة في عمليات الاقتحام وصلت من مدن سعودية مختلفة إلى موقع المواجهات في الدمام بعد أن فشلت المحاولات السابقة في وضع حدٍ للمطلوبين، ومنعهم من إطلاق الرصاص والصواريخ تجاه رجال الأمن واستمرارهم في المقاومة بضراوة.

في تصريح لمصدر أمني لوكالة الانباء الفرنسية أن قوات أمن وتعزيزات أمنية جرى استقدامها من الرياض الى جانب جرافات ومعدت ثقيلة للموقع بعد يوم من بدء المواجهات في حي الحمراء عند كورنيش الدمام (حي المباركية)، مما يضعنا أمام عدة إحتمالات منها أن عملية الرقابة للمطلوبين منذ شهرين لم تكن صحيحة، أو أن أجهزة وزارة الداخلية فشلت في عملية المراقبة الطويلة نسبياً من التوصل الى معلومات دقيقة أو كافية للكشف عن مصادر قوة الجماعات المسلّحة، والاحتمال الثالث أن عملية المراقبة لم تستغرق هذا الوقت المزعوم وإنما جرى الحصول على معلومات عابرة ولذلك تم ارسال دورية أمن عادية برجال غير مسلّحين الى الموقع للتأكد من وجود عناصر مسلّحة في مركز تجاري وهو ما كشفت عنه الصور بوضوح، ثم أكّده بيان لوزارة الداخلية والذي ذكر (أن قوات الامن رصدت الاحد (قبل يوم من العملية) تواجداً لاثنين من المطلوبين للجهات الأمنية في مدينة الدمام حيث قامت بمتابعتهما وتطويق موقع انطلاقهما والتعامل معهما بما يقتضيه الموقف). من جهة أخرى، يذكر أحد بيانات وزارة الداخلية أن قوات الامن كانت تراقب منذ شهرين تحركات كل من السياري والحربي، ويفترض أن تكون على دراية كافية بناء على عملية المراقبة هذه إن كانوا بالمنزل بحي المباركية أم لا وقد تأكد وجودهما بالفعل بعد انتهاء العملية. في كلام لمصدر أمني يبدو أن الأمر غير ذلك: (أن المشبوهين اللذين قتلا من (المطلوبين) من قبل السلطات السعودية لكن لم يعرف ما اذا كانا على لائحة الناشطين المطلوبين الـ ٣٦ التي نشرت في ٢٨ يونيو/ حزيران).


مخزون القاعدة في الشرقية لم يستنفذ بعد

إن التبرير الذي تسوقه بيانات الداخلية كعادتها في إخفاء مواطن إخفاقها وفشلها، أن قوات الامن لم تكن مستعجلة لاقتحام الموقع رغبة منها في القبض على أحياء بهدف الحصول على معلومات عن تحرك عناصر أخرى من شبكة تنظيم القاعدة، وهذا التبرير لا يستند على معطيات واقعية، بدليل أن كتيبة القوات السعودية الخاصة التي وصلت للموقع بدأت باستخدام قذائف الآر بي جي واطلاق النار بكثافة من إتجاهات عدة بإتجاه المنزل الذي يتحصن فيه المقاتلون، وقد كشفت الصور والتقارير المصوّرة عن كمية الدمار الهائل الذي لحق بالمنزل بل كانت هناك نيّة على هدم المنزل على من فيه عن طريق استعمال الجرافات وهذا دليل على أن الرغبة في القبض على أحياء لم يكن سوى خياراً متأخراً، وإن كانت الرغبة في الحصول على أحياء تظل قائمة على الدوام لنفس الهدف المذكور، مع أن استعمال الغازات بكثافة كان كفيلاً بأن يخرج المقاتلين من مخابئهم التي ظلوا متحصنين فيها حتى النهاية.

موضوع الغلاف

في واقع الأمر، ان قوات الامن أخذت على حين غرة في هذه المواجهات حيث فوجئت الدفعة الاولى من رجال الامن بإستعداد قتالي غير عادي لدى الجماعة المسلّحة، وهو ما أدى الى تساقط عدد من رجال الامن بين قتيل وجريح. تحاول الرواية الرسمية إيهام القارىء بأن عملية المواجهة الاولية عند سوق بنده لم تكن فجائية او عفوية فقد كانت قوات الامن، حسب الرواية الرسمية، قد رصدت صباحاً ٣ مطلوبين أمنيين في سيارة بحي الربيع عند شارع الأمير محمد بن فهد بالدمام، فلجأوا الى مركز بندة التجاري وبدأوا بإطلاق النار على رجال الأمن التي اشتبكت معهم ما أدى إلى مقتل أحدهم وإصابة آخر تم نقله إلى المستشفى ثم مات بعد ذلك.

لكن ما تكشف عنه الصور والتقارير المصوّرة يخالف تماماً الرواية الرسمية، فما لحظه المشاهد أن دورية أمنٍ إقتربت من المكان الذي يتواجد فيه مسلّحون داخل السوق، فبادر أحد المسلّحين بإطلاق النار على رجلي أمن جاءوا للتحقق الفضولي (كما تنبىء عنهم هيئتهم وطريقة تحركهم) من وجود أشخاص مجهولين مشتبه في تصرفاتهم قبل دخولهم سوق بندة في الساعة الثانية والربع ظهراً، ولكن مالبث أن تحول الموقف الى مواجهة نارية سقط فيها أحد المسلّحين فيما جرح آخر وتمكن ثالث من الهرب.

وفيما ظهر لاحقاً، أن منزل حي المباركية كان وكراً للجماعات المسلّحة التي كانت تستعد لتنفيذ عمليات مسلحة واسعة انطلاقاً من هذا المنزل، وأن اكتشافه جاء نتيجة فرار احد الثلاثة المتواجدين في سوق بندة اليه بعد مقتل رفيقه وجرح الأخر. ومن هناك، أي من منزل حي المباركة بدأت المواجهة العسكرية الشاملة التي دامت ما يربو عن يومين، والتي ذهب ضحيتها أربعة على الاقل من رجال الأمن وجرح عشرين آخرين فيما سقط خمسة من الجماعة المسلحة قتلى داخل المنزل.

إن اللقطات الاولى للمواجهة المسلحة عند السوق التجاري بالدمام تبدي حقيقة مؤلمة، فالشريط المصوّر يعرض مشهد رجلي أمن وصلا الى المكان دون أن تكون لديهم معلومات كافية عن طبيعة القضية التي ذهبوا من أجلها بدليل أنهما كانا غير مسلحين ولم يرتديا سترة واقية ضد الرصاص أو خوذ عسكرية، ولذلك ما إن وصلوا الى قريب من مكان تواجد المسلّحين فوجئا بهجوم عليهم بالرصاص لولا أن أحدهم وقع على الارض فيما انطلقت رصاصات من أحد رجال المباحث كان متواجداً عن طريق الصدفة لتؤدي الى مقتل أحد المسلّحين فيما لاذ الباقون بالفرار بعد أن فشلوا في إنقاذ صاحبهم المطروح على الارض.



٤ مقابل ٥ وجرحى ودمار!

كان بحق منظر يبعث على الشفقة، إذ كيف يتم إرسال رجال أمن في مهمة خطيرة بهذه الطريقة المخادعة والرخيصة التي تنم عن استسهال لأرواح الرجال، مع كل مزاعم وزارة الداخلية حول مراقبة المطلوبين ومعرفة حجم الخطر الذي يشكّله هؤلاء. كنا نتمنى أن يكون هناك قليل من التقدير والاحترام لكرامة

الرواية الرسمية متهافته وتبعث على السخرية فبيانات الداخلية كذّبتها الصور الملتقطة من مسرح العمليات

وأرواح رجال الأمن بدلاً من الزج بهم في أتون معركة لا يدركوا عنها شيئاً، ثم تحصد أربعة أو خمسة نفوس منهم فضلاً عن عشرات الجرحى مع أن موقع المقاتلين كان محاصراً وهذا يسقط من أيديهم القدرة على المناورة وإعادة التموقع خارج المنزل.

إن تهويل قوة الجماعات المسلّحة ينطوي أيضاً على مدافعة ضمنية عن الذات، مع الاقرار بشراسة وكفاءة أفراد هذه الجماعات، ولكن قوة الاخيرة ناجم في جزء كبير منه عن ضعف شديد في الجانب الآخر، أي في قوات الامن السعودية التي لم تكن مؤهّلة بدرجة كافية لخوض معارك من هذا القبيل، وبخاصة حرب الشوارع.

في الحساب العسكري، أن مشاركة أكثر من مائة عنصر من رجال أمن مدججين بأحدث الاسلحة المتطورة في مواجهة مع ستة الى ثمانية أشخاص محاصرين داخل منزل لا تتطلب ذلك المدى الزمني الطويل فضلاً عن سقوط أربعة قتلى من أفراد قوات الامن وعشرين جريحاً، أي أن نهاية العملية لم تسفر عن انتصار مؤزر وكاسح لصالح قوات الامن، بل هي نتيجة طبيعية للانهاك الشديد الذي أصاب الجماعة المسلّحة.

إن النيران التي اشتعلت في المبنى الذي يتواجد بداخله عناصر الجماعات المسلّحة وذلك مساء الليلة الثانية من المواجهات ساهمت في تسعير حدة القتال، فقد بدأ المتحصّنون داخل المبنى برمي كميات كبيرة من القنابل اليدوية على رجال الامن من جهات متعددة في المبنى مما أدى الى مقتل وجرح عدد من رجال الامن. نلفت هنا الى نقطة فشل أخرى في التخطيط العسكري لدى قوات أجهزة الامير نايف حيث تم إصدار الاوامر لرجال الامن بالتقدم نحو المبنى دون إدراك لاحتمالية ولو ضئيلة لوجود نيران مضادة بانتظارهم، وهو ما تسبب في المفاجأة القاتلة لقوات الامن حيث تساقط عدد من أفرادها بين قتيل وجريح وقعوا في ما يشبه كمين مفاجىء بعد فترة هدوء قصيرة كان الاعتقاد فيها على أن جميع أفراد المجموعة المسلّحة قد تعرضوا للفناء المبرم.

إن استمرار القتال لأكثر من يومين في نقطة صغيرة ينم عن كفاءة قتالية متدنية فضلاً عن سوء التخطيط العسكري في مثل هذه العملية. ومن العبارات اللافتة أن إطالة أمد الحصار ترجعه المصادر الأمنية الى استخدام المسلّحين لقنابل محلية الصنع ضد قوات الأمن كلما حاولت الاقتراب من المنزل السكني المتواجدين فيه.

عملية اخلاء العوائل من المنازل القريبة من الفيلا التي يتحصن فيها المسلّحون كانت خالية من أدنى مسؤولية، فقد قضت العائلة التي تقطن في الطابق الارضي نحبها مع بداية الاشتباكات بفعل القذائف والاسلحة النارية التي وجهت الى الفيلا. ومن أجل التغطية على الخطأ زعمت المصادر الامنية في وقت لاحق أن الارهابيين تحصّنوا في منزل

مكوّن من دورين كان خالياً من السكان بالقرب من مدرسة أهلية ومسجد. أما بالنسبة للمساكن القريبة من الفيلا فقد بقي الاهالي في حالة ذعر وهلع شديدين على مدار فترة المواجهة دون أن توضع خطة اخلاء متقنة للاهالي بالرغم من إمكانية القيام بعملية الاخلاء قبل بدء المواجهات المسلحة في مرحلتها النهائية والشرسة. فقد إستيقظت كافة أحياء مدينة الدمام على أصوات انفجارات شديدة متواصلة ظلت تسمع لساعات عديدة، فيما خلت الشوارع القريبة من مسرح المواجهة بالرغم من أن كثيراً من السائقين ترجلوا من سياراتهم وهكذا خروج كثير من الاهالي من منازلهم إما هرباً أو بدافع الفضول لمشاهدة مجريات الاحداث، فيما لم تقم قوات الامن بوضع حواجز أمنية على الطرقات الرئيسية والفرعية للحيولة دون وصول المدنيين الى داخل المدى الذي تصل اليه طلقات الرصاص.

نشير هنا الى خطأ آخر كان يمكن تداركه في وقت مبكر وهو مرتبط بعملية تهيئة مسرح العمليات لمواجهة مفتوحة، وذلك عن طريق إخلاء المنطقة القريبة من المبنى من السكان حفاظاً على أرواحهم، سيما بعد أن تم تحديد الهدف وبات بالإمكان مشاغلة المتحصنين بداخل المبنى الى حين اخلاء المنطقة السكنية. من الروايات الباعثة على الاسى ما نقله موقع الوفاق، القريب من وزارة الداخلية في سياق الاشادة بجهود قوى الامن، ولكنه في واقع الامر يعكس جانباً من الاخطاء القاتلة أحياناً. فقد ذكر الموقع أن أجهزة الامن تمكنت من اخلاء عائلة منزلها ملاصق للمنزل الذي يتحصن به المطلوبون أمنياً. تكلمة الخبر ومحل الشاهد هنا: حيث أمضت العائلة المكونة من أب معاق وخمس نساء وأربعة أطفال أكثر من ٣٠ ساعة في حالة رعب وخوف جراء القصف المتواصل الذي كان متبادلاً بين الجهات الأمنية والمطلوبين، وقد تجمع كل أفراد الأسرة ومعهم خادمتان آسيويتان في زوايا إحدى الغرف طوال الفترة التي سبقت إخلاءهم، خشية إصابتهم بالرصاص أو سقوط قذائف عليهم، وعند إخراج الأسرة من منزلها قالت امرأة منهم (إنهم عاشوا حالة رعب لا يمكن وصفها، خاصة وأن والدهم معاق لا يمكنه مساعدتهم في الخروج، و لم يتمكنوا من إخراجه، وقد تم نقل الأسرة كاملة فور خروجهم من المركبات المدرعة إلى سيارات الإسعاف التي نقلتهم فوراً إلى المستشفى لتلقى العلاج الطبي والنفسي). الجدير بالاشارة هنا الى انها ليست العائلة الوحيدة التي بقيت محاصرة لأكثر من نصف مدة المواجهة المسلحة بل بقي كثير من العوائل محاصراً في منطقة العمليات الى



ماذا يخبئ المستقبل من معارك؟

النهاية.

من اللافت أيضاً، أن نهاية الاشتباكات لم تحسم عملية الدمام، فقد ظلت تداعياتها تتواصل فيما بعد حيث تحدثت أنباء عن وجود عناصر من الجماعات المسلّحة تستعد لخوض عمليات أخرى شرسة في المنطقة الشرقية، وهو ما دفع بالقنصلية الاميركية بالظهران

نهاية الاشتباكات لم تحسم عملية الدمام، فمازال هناك مخاوف من القيام بعمليات مسلّحة شرسة في الشرقية

الى اغلاق ابوابها لفترة من الوقت بناء على تقارير استخباراتية حصلت عليها السفارة الاميركية من مصادرها الخاصة. تجدر الاشارة أيضاً الى ان رئيس شركة استرالية مقرها بالدمام وتعمل لحساب أرامكو منذ عامين أبلغ موظفي الشركة بأخذ الحيطة والحذر من احتمال وقوع عمليات انتحارية يقوم بها أفراد من الجماعات المسلّحة بناء على معلومات حول إختفاء ثمان سيارات تابعة لقوات الامن، وهو ما يترافق مع معلومات أخرى كشفت عنها مصادر أمنية محلية وغربية عن التخطيط لشن هجمات مسلّحة ضد منشآت حيوية وسكنية في المنطقة الشرقية على غرار عملية الخبر التي جرت قبل عامين. يضاف الى ذلك معلومات حصلت عليها وزارة الداخلية من عناصر تابعين لشبكة القاعدة تم اعتقالهم في أوقات لاحقة وقدّموا اعترافات عن مخطط لعمليات وشيكة في المنطقة الشرقية، دون أن تنجح أجهزة الأمن في تحديد المكان المستهدف.

السؤال يبقى هل ستكون المنطقة الشرقية مركزاً لتجمع الجماعات المسلّحة في المرحلة القادمة؟

يسجّل للجماعات المسلّحة تجربة فريدة في المواجهات العسكرية التي جرت في مدينة الخبر قبل أكثر من عام حين تمكّنت هذه الجماعات من قتل وسحل مواطن غربي ثم اقتحام مبنى سكني وقتل عدد من نزلائه وحرق عدد من السيارات ثم الفرار في جنح الظلام فيما كانت قوات الامن تقوم بعملية انزال فاشلة في الصباح.

المنطقة الشرقية تمثّل الشريان الحيوي للدولة، وتضم منشآت حيوية وسكنية لأغلب العمال الوافدين وبخاصة الغربيين، الى جانب كونها منطقة يقطنها الشيعة المصنّفين في خانة الكفار والتي تخضع لرقابة أمنية مشددة خشية قيام الجماعة المسلّحة من تنفيذ عمليات في هذه المنطقة والتي قد تؤدي الى تفجير الوضع الامني بطريقة غير قابلة للتنبوء.

إن خطورة نقل المواجهات المسلّحة الى المنطقة الشرقية نابعة من الاهمية الاستراتيجية والاقتصادية لها، بما يعيد إحياء المخاوف مجدداً من استهداف المنشآت النفطية بحسب تعليمات زعيم تنظيم القاعدة اسامة بن لادن قبل نحو عام لأفراد التنظيم في السعودية.

وعلى أية حال، فإن المواجهات المسلّحة التي شهدتها السعودية منذ مايو ٢٠٠٣ والتي أدّت بحسب الحصيلة الرسمية الى مقتل ٢٥٢ شخصاً بينهم تسعون مدنيا و٤٤ شرطيا و١١٨ مطلوبا، لا يمكن التنبوء بنهاياتها رغم التطمينات المتكررة من قبل الامراء الكبار، وأن اكتشاف عناصر جديدة وكميات ضخمة من الاسلحة والذخائر لدى الجماعات المسلّحة تخبر عن أن حسم المعركة ضد العنف والارهاب ليس وشيكاً بل قد يشهد منعطفاً خطيراً وشرساً في أي وقت.

مع وصول عبد الله الى العرش

مستقبل العلاقات السعودية الاميركية

يمكن المجادلة بأن العلاقات السعودية الاميركية شهدت أبرز نقطة تحول في تاريخها في عهد الملك فهد وتحديداً مع وصول رونالد ريغان الى البيت الابيض عام ١٩٨١، حيث بدأت علاقات البلدين فصلاً غير عادي من التنسيق الاستراتيجي في مجمل قضايا الشرق الاوسط، بما فيها الجهاد الافغاني الذي أفرز تنظيم القاعدة، وامتد التعاون بينهما ليشمل النطاق الدولي عموماً. فلأول مرة في تاريخ السعودية تتورط القيادة السياسية في شؤون داخلية للعديد من الدول وتساهم بالتمويل في دعم حركات تمرد في أميركا اللاتينية وافريقيا بتخطيط من الادارة الاميركية. إن السنوات الاخيرة من الحرب الباردة شهدت ذروة الصراع القطبي والذي فرضت على السعودية كطرف ليس بوصفه حليفاً استراتيجياً للولايات المتحدة، ولكن بحكم أوضاع الشرق الاوسط التي أقحمت السعودية في أتون الصراع الدولي.

لقد ورث الرئيس الاميركي الاسبق ريغان أوضاعاً شديدة الاضطراب في الشرق الاوسط، من أبرزها ارتفاع أسعار النفط التي زادت من ٣.٣٩ دولار للبرميل الى ٢١ دولاراً، وانتصار الثورة الايرانية على يد السيد الخميني الذي استبدل نظام الشاه الصديق للولايات المتحدة، وتعزيز الاتحاد السوفيتي لموقعه في افغانستان وقد بات خطوة واحدة قريبة من الخليج الغني بالنفط. وبحسب جين كيرباتريك فإن الاتحاد السوفيتي قد تقدّم من السلطة القاريّة الى السلطة الكونية.

ما توصل اليه قلة من المراقبين في ذلك الوقت أن تلك الاحداث دشّنت مرحلة متقدّمة في العلاقات السعودية الاميركية ودامت نحو عقدين من الزمن، ومثّلت ذروة التعاون الاستراتيجي بين القيادتين، وربما دفعت الادارة الاميركية ثمن ذلك لاحقاً حيث تفتّحت أذهان من أريد منهم المشاركة في تحقيق ألاهداف الاستراتيجية الاميركية في أفغانستان على أسرار بعض الاجهزة الامنية الاميركية ومنها نفذت بعض القيادات التنظيمية التابعة للقاعدة كيما تستعملها لاحقاً في هجماتها الكارثية.

لقد أراد الرئيس ريغان ليس احتواء الاتحاد السوفيتي فحسب ولكن أيضاً قطع تمدد السيطرة والحضور العسكري السوفييتي في العالم. وكان هدف مبدأ ريغان هو رفع تكاليف السياسة الخارجية لدى موسكو من خلال دعم الديمقراطية، وإنضاب النفقات الدفاعية السوفييتية، ودعم الحركات المناهضة للاتحاد السوفيتي في العالم النامي. وقد نجح ريغان في تلك الخطة رغم أنها أنهكت الطرفين الى حد كبير، ولكنها بلا شك كانت أحد عوامل السباق نحو الهاوية التي أنضبت مصادر قوة الاتحاد السوفييتي وأدّت الى انشطاره الكامل.

مشكلة الرئيس ريغان أن عقيدته الاستراتيجية كانت باهضة الكلفة وتنطوي على مغامرة غير مضمونة تماماً وقد أرهقت أميركا. فحينما كانت الاخيرة لا تزال تتعافى من آثار حرب فيتنام، كانت هناك أدلة ضعيفة وقليلة على إمكانية القيام بمغامرات من هذا القبيل في العالم الثالث. ولكن ريغان كان يعتقد بأن فشل أسلافه لوقف تقدم السوفييت في أنغولا وأثيوبيا وأماكن أخرى في منتصف السبعينيات قد دعّم موقف الاتحاد السوفيتي.

بالنسبة لمسؤولي الادارة الاميركية في المستويات العليا، بات واضحاً أن كبح ودفع الشيوعيين للوراء سيكون مكلفاً، وربما ستكون لتداعياته المستقبلية آثار خطيرة وثقيلة على الجانب الاميركي، وإن اختفى الخصم الشيوعي من مسرح المنافسة العالمية. لقد تمّ تكليف مدير السي آي أيه وليام كيسي للعثور على آخرين لتوفير السلاح والمال. إن إحتمالية مساعدة السعودية بدأت بالاتضاح للادارة الاميركية منذ وقت مبكر من خلال البحث عن حلفاء موثوقين داخل العائلة المالكة. فليس فقط بإمكان السعودية توفير المساعدة لادارة الرئيس الاميركي الاسبق ريغان، ولكن مع زوال الشاه في ايران، فقد بات السعوديون قادرين على لعب دور بارز بوصفهم الحليف الغني بالنفط في منطقة مضطربة.

طاقم العلاقات العامة السعودي والاميركي التابع لولي العهد نجح في إقناع الاميركيين بدوره في إعادة بناء التحالف الاستراتيجي

وبلا شك، فقد كانت لدى السعودية أسبابها الخاصة لمساعدة أميركا في محاربة السوفييت. أولاً، كانت الولايات المتحدة وسيلة مفيدة لحماية حقول النفط السعودية، وكانت البلد التي أرادت القيادة السعودية منها البقاء لفترات طويلة. وثانياً، كانت السعودية شديدة القلق حيال تقدّم الاتحاد السوفييتي. وقد فسّرت الرياض مغامرة موسكو في أفغانستان على انها جزء من مشروع سوفييتي لتطويق الجزيرة العربية بأنظمة راديكالية (يسارية تحديداً) وتدمير الملكيات الغنية بالنفط، إن التورط السوفيتي في اليمن وأثيوبيا دعم وجهة النظر هذه. وثالثاً مثلت الولايات المتحدة بالنسبة للسعودية النافذة الأوسع على العالم، لكسر الطوق المفروض عليها عربياً وبخاصة في ظل وجود أنظمة عربية مناوئة لها منذ ظهور عبد الناصر على المسرح السياسي كزعيم عربي يناضل من أجل التحرر من الملكية والاقطاع والاستعمار، ثم ظهور انظمة عربية يسارية في العراق وسوريا واليمن. ورابعاً، تبقى السعودية صندوقاً نقدياً مملوءاً كحاصل للبترودولار وبامكانها تقديم المساعدة والعون.

وقد توصّلت إدارة الرئيس الاميركي ريغان الى كيفية الافادة من الاهتمام العالمي لدى السعودية والفائض النقدي لديها لدعم السياسة الخارجية الاميركية. في أفغانستان، ضارعت المملكة السعودية الاسهامات الاميركية دولاراً بدولار. وفي نهاية الامر، فقد أغدقت كل من واشنطن والرياض نحو ٣ مليارات دولار في ذلك البلد المتشظي. كما خصصت السعودية ٣٢ مليون دولار لنيكاراغوا لتمويل جماعات الكونترا، وقد ظهرت هذه الحقيقة في سياق فضيحة إيران ـ كونترا. وقد حوّلت السعودية أموالاً الى جارة أثيوبيا، السودان في سبيل الضغط على حكومة منغستو هيلا مريام الاثيوبية الموالية للسوفييت. وقد ساعدت السعودية قائد الثوار في أنغولا، جوناس سافيمبي، لدعم الاهداف الاميركية، من خلال توزويد المغرب بالمال لإقامة معسكر تدريب لمنظمة يونيتا. وفي واقع الأمر، أن السعودية ساهمت بأكثر من مجرد التمويل. فقد ساهمت بشريك متوافق معها أيديولوجياً في



فهد: مؤسس الحلف الاستراتيجي مع اميركا

المعركة ضد الشيوعية الملحدة. في إطار تقاسم أدوار محكم، فإن أميركا حاربت الشيوعية فيما استهدفت السعودية الالحاد والكفر بالله. وخلال عهده، كان الرئيس ريغان يثير صخباً حول قائمة من الدول ذات الاهتمام مثل: افغانستان، انغولا، كمبوديا، اثيوبيا، ونيكاراغوا. ما توصل اليه قلة من المراقبين أن السعودية كانت متورطة بصورة مباشرة أو غير مباشرة في أربع من هذه الدول الخمس. إن الشراكة الوثيقة ألهمت الامير بندر، السفير السعودي في واشنطن لأن يفضي بسر الى أحد الصحافيين في عام ١٩٨١ بأنه (لو كنت تعلم ما نفعله نحن في وقع الامر من أجل أميركا، فلن تعطونا الاواكس فحسب، بل ستعطونا الاسلحة النووية ايضاً).

إذن لماذا المصالح والاتصالات الفجائية بين عائلة بوش وعائلة آل سعود؟ من الواضح أن لدى العائلتين عدداً من المصالح المشتركة. ولكن الاهتمام الزائد بعائلة بوش يفقد التاريخ الطويل من العلاقة المعاصرة بين اميركا والسعودية. وعليه، يجب أن ننظر الى الوراء ورغبة الرئيس بوش الصميمية لتخليص العالم من امبراطورية الشر.

منذ الحادي عشر من سبتمبر بدا وكأن ربيع العلاقات السعودية الاميركية قد أشرف على نهاية مؤلمة، ومن سوء حظ البلدين أن يكون صانع العلاقة في الجانب السعودي قد أصبح مشلول القدرة بيولوجياً وسياسياً، فلم يعد يدرك أن المليارات التي دفعها لبناء أقوى حلف استراتيجي مع الولايات المتحدة قد إنهار مع انهيار البرجين في نيويورك. وقد تطلب هذا الانهيار المروع في العلاقات بين واشنطن


ريغان: النفط تحت الخدمة

والرياض عملاً جباراً من قبل ولي العهد (الملك الحالي) الذي حشد كل الجهود الممكنة لجهة وقف مسلسل الانهيار في علاقات البلدين، فقام بزيارتين تاريخيتين للولايات المتحدة صحب فيهما طاقم الحكومة بأكمله تقريباً (بإستثناء الامراء السديريين الذين أدرجت أسماؤهم في قائمة المشتبه بتورطهم بالارهاب بصورة غيرة مباشرة) في خطوة وصفت بأنها أشبه ما تكون وضع الحكومة السعودية بكاملها تحت تصرف الادارة الاميركية كجزء من محاولة استرضاء الاخيرة وكتعويض نفسي عما أصاب الاميركيين من أضرار جسيمة.

والى ما قبل زيارة الملك عبد الله الى الولايات المتحدة بعد هجمات الحادي عشر سبتمبر، كانت صورته مشوبة بالضبابية والسلبية الى حد ما، بسبب الانطباعات التي خلقتها بعض وسائل الاعلام الاميركية عنه، بوصفه عروبياً متشدداً وهو أقرب لليسار العربي المقرّب من موسكو منه لليمين العربي المقرّب من واشنطن. وقد فرضت هذه الصورة على طاقم العلاقات العامة السعودي والاميركي التابع لولي العهد أن يولي عناية خاصة بتبديل هذه الصورة المشوّهة عنه. وقد نجح الطاقم وولي العهد (الملك حالياً) في إقناع الاميركيين بدوره وقدرته على الاضطلاع بمهمة الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة، وفي واقع الامر ان الزيارتين حققتا هدفاً جوهرياً وهو إقناع الادارة الاميركية بأنه الشخص الأنسب للمرحلة القادمة والذي يمكن التعامل معه بصورة

الاميركيون راضون عن الاداء السياسي للملك عبد الله، ولكن ثمة في الجعبة الاميركية تحفظات على توجهات بعض الامراء

أفضل. لاشك أن الاجراءات الشكلية التي قام بها الملك عبد الله في السنوات الماضية ساهمت في تمهيد الطريق لصناعة المخيال السياسي لدى الاميركيين حول الملك القادم، وقد يفسر ذلك جزئياً على الاقل الترحيب الاميركي لمبادرات عبد الله في الحوار الوطني والانتخابات البلدية المجتزئة.

لاشك أن الملك عبد الله خلال الزيارتين لكراوفورد تضمنتا تطمينات للجانب الاميركي ليس في الحرب على الارهاب وموضوع النفط فحسب بل وفي قضايا عديدة من أهمها موضوع السلام مع اسرائيل ودعم السياسة الاميركية في الشرق الاوسط بما في ذلك القضية العراقية. إن قائمة القضايا المتفق عليها بين القيادتين السعودية والاميركية من شأنها أن تعيد إحياء التحالف الاستراتيجي بينهما، في ظل ارتياب شديد حول جدية بعض الاطراف في العائلة المالكة في الحرب على الارهاب ووقع حملة الكراهية في مناهج التعليم الديني ودعم قوى


عبدالله وبوش: العلاقات الى أين؟

التشدد في الداخل.

الاميركيون راضون عن الاداء السياسي للملك عبد الله، ولكن ثمة في الجعبة الاميركية تحفظات على توجهات بعض الامراء المعادية او لنقل غير المتوافقة مع الادارة الاميركية. لقد حاول الامير نايف المصنّف في خانة الخصوم للولايات المتحدة أن يضاعف من جهوده في الآونة الاخيرة في الحرب على الارهاب بغرض تعزيز موقفه والحصول على منصب النائب الثاني.

إن زيارة الامير سلطان للولايات المتحدة لحضور اجتماع الجمعية العمومية تشكّل فرصة مناسبة لجهة ترطيب الاجواء مع واشنطن، منذ قرار نقل القوات الاميركية من القواعد الجوية السعودية الى قطر قبل الحرب على العراق بعدة شهور. يُذكر هنا أن عوائل ضحايا هجمات الحادي عشر من سبتمبر رفعوا قضية على عدد من الامراء من بينهم الامير سلطان، تطالبهم بتعويض بمليارات الدولارات، وقد جرى تجميد القضية بعد ظهور بوادر حلحلة سياسية على مستوى القيادتين الاميركية والسعودية.

على أية حال، فإن الامير سلطان يحمل رسالة شخصية للاميركيين في دعم موقفه كملك قادم وربما يناضل من اجل الحصول على دعم الاميركيين لصالح الامير نايف. لقد سرت شائعات قبل فترة بأن الاميركيين يتطلعون الى شخصيات أخرى داخل العائلة المالكة من خارج الجناح السديري، وأن الامير سلطان لم يعد شخصية مقبولة أميركياً، رغم أنه من الناحية التقليدية يصنّف الامير سلطان كما الملك فهد على الخط المؤيد لتعزيز العلاقة مع الولايات المتحدة، بل ظهر في التسعينيات أن الامير سلطان كان من المؤيدين للوصول بالعلاقات بين البلدين الى اعلى المستويات.

في كل الاحوال، فإن السعودية والولايات المتحدة مقبلان على مرحلة جديدة من العلاقات قد لا تكون بالحرارة التي كانت عليها في زمن الملك فهد، وقد تتركز بدرجة كبيرة في موضوعات محددة كالنفط والسلام والوضع الاقليمي، الى جانب أن ظروف العالم قد تبدّلت بصورة دراماتيكية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي ونهاية الحرب الباردة ولم تعد الولايات المتحدة بحاجة الى بروكسيات تحارب عنها بالنيابة.

الملك يمنع تقبيل يد سلطان!

أولويات الملك وملفات المرحلة

هناك قائمة ملفات أو قضايا رئيسية على طاولة الملك عبد الله، ونفترض أنها تمثل انشغالات الحقبة الراهنة، ولكن كيف يتم مقاربة هذه القضايا، وكيف يتم تنظيمها من حيث درجة الاهمية، وماهو المدى الزمني الذي تستغرقه؟ القضايا باختصار: ترتيب البيت الداخلي، الاصلاح السياسي، الملف الاقتصادي، العلاقات مع الغرب والولايات المتحدة، العلاقات الاقليمية على وقع تداعيات الوضع في العراق.

قد تبدو قضية ترتيب البيت الداخلي ذات أهمية كبرى بالنسبة للملك عبد الله. فالعائلة المالكة مع وصول عبد الله الى العرش باتت على موعد حاسم لتسوية الاختلال داخل البيت، مع احساس بعض الاجنحة بالتهميش والاقصاء، ورغبتها في إعادة هيكلة النظام الوراثي بحيث توفر عملية الاعادة هذه فرصاً أوفر لبقية الاجنحة من أجل الحصول على حصة مرضية في كعكعة السلطة. أهمية هذا الملف تنبع بدرجة رئيسية من كون الملك عبد الله، الذي إن قرر عملياً خوض غمار الاصلاح السياسي، بحاجة الى حلفاء جدد داخل البيت السعودي لأن من يمسك بالمفاصل الرئيسية هم بالتأكيد ممانعون تكوينيون للاصلاح، إضافة الى ذلك فإن القيام بالملك على أوجه أكمل سيتطلب ترتيبات مناسبة في الجهاز الاداري للدولة وتحديداً في المستويات العليا التي يعوّل على دورها في عملية صناعة القرار السياسي.

وهنا تبدو الصورة التقليدية حاضرة من أجل إدراك طبيعة المشكل المراد تسويته. إن احتكار العائلة المالكة للوزارات والمواقع الحساسة (الدفاع، الداخلية، الخارجية، الحرس الوطني، المخابرات العامة) يكشف عن حقيقة أن القرارات المصيرية تبقى محصورة في دائرة ضيقة داخل الدولة، وان ترك الوزارات التقنية (المواصلات، النفط، الكهرباء، البريد..الخ) لأفراد من خارج العائلة المالكة، وإن كانوا من عوائل مهمة للحفاظ على توازن القوى داخل نجد على الاقل، تعكسة حقيقة القرارات التي تصدر في الغالب عن مجلس الوزراء والتي يتم فيه مشاركة العائلة المالكة مع الوزراء في صناعته الفنية غير السياسية.

إن وقوع كافة أو أغلب الوزارات السيادية في يد طبقة او فئة محدود داخل العائلة المالكة سيجعل من الصعوبة بمكان رسم سياسات تتناغم مع توجهات الملك أو حتى تمهيد السبيل لوضع سياسات تتناسب وحاجات العباد والبلاد، وهذا يعني أن عملية توزيع الوظائف والمناصب بين فئات متعددة يفتح هامشاً للمناورة.

وندرك من واقع تجربة الملك خالد، أن العصبة السديرية تمكنت من إحكام قبضتها حول العرش وعلى صناعة القرار السياسي للدولة، فكانت تملي السياسات والبرامج العامة وتصنع بصورة شبه كاملة المصير السياسي للدولة.

ومن المفارقات التي لابد أنها حاضرة في ذهن الملك عبد الله، أن سلفه تمكن خلال ولايته للعهد في زمن الملك خالد أن يقود البلاد بناء على أسباب هي بالتأكيد أقل وجاهة من الاسباب التي تستدعي أن يقود الملك عبد الله الدولة في زمن الملك فهد. فقد تمكن الاخير من استصدار مرسوم ملكي من الملك خالد ينص على (أن يتخذ الامير فهد الاجراءات وإصدار التوجيهات في الداخل والخارج وإصدار القرارات الادارية وفقاً للسياسات المعمول بها بعد التشاور معنا). وبالتأكيد، وبنفس الطريقة، فإن الاسباب التي أدت الى إزاحة الملك سعود من العرش عام ١٩٦٢ هي أقل وجاهة من الاسباب التي يفترض أن تقود الى إزاحة الملك فهد من منصبه بعد فقدانه الأهلية الطبيعية والقانونية للقيام بمهام الملك، ومع ذلك ففي الحالتين لم يتم تفويض السلطة الى عبد الله بصورة رسمية. فقد ظل الاخير يمارس السلطة بالنيابة دون مرسوم ملكي وإنما بحكم الامر الواقع ولكنها سلطة منقوصة، أي تتطلب إشراكاً لأمراء آخرين معه (من الجناح السديري بطبيعة الحال)، كما لم يتم عزل الملك فهد من منصبه وظل من الناحية الرسمية ملك البلاد لمدة عقد كامل.

إن هذه المقارنة تصلح في ادراك قوة التحالف داخل العائلة المالكة حين يملي إرادته على بقية أفرادها، وبالتالي فإن هناك حاجة ملحّة كيما يمارس الملك عبد الله دوراً جوهرياً من أجل صياغة البيت السعودي



الملك فهد: أول من سنّ تقبيل الايدي والانحناء

وفق قواعد جديدة. ومن المعلوم بحكم تجارب الملك السعودي، أن كل ملك يصل الى العرش يأتي بجملة عادات وتقاليد جديدة قد تكتسب صفة الديمومة في أغلب الاحيان.. إن بعض هذه العادات قد يمس بنية الحكم نفسها، من خلال إحداث تغييرات في المواقع من قبيل تقريب أو استبعاد بعض الامراء، أو من قبيل تعزيز قوة الملك نفسه عن طريق احتواء بعض مراكز القوة، أو حتى من قبيل تغيير بعض الشكليات اليومية.

في تجربة الملك فيصل بدأ وضع الجيش والقوات المسلحة تحت قيادة العائلة المالكة ومن فوقها قيادة الملك شخصياً إثر محاولات انقلابية وتمرد قام بها عدد من قيادات الجيش، فأصبح هذا الأمر سارياً في العهود اللاحقة. ففي ٢٠ مارس ١٩٦١ صدر مرسوم تنظيم الجيش وفي ٢٥ يوليو من نفس العام وضع مرسوم ملكي الجيش تحت إشراف مجلس الدفاع الأعلى الذي يضم الملك (رئيساً) ووزراء الدفاع والداخلية والخارجية والمالية أعضاء إضافة الى رئيس هيئة الاركان العامة. وقد أصبح هذا المرسوم قانوناً سارياً ورثه الملوك السعوديين عن الملك سعود وهكذا الحال بالنسبة الى الملك رئيساً لمجلس الوزراء والرئيس الاعلى للجامعة الاسلامية.

إن التقليد الذي أرساه الملك عبد العزيز في إدارته للدولة بات مألوفاً بل واكتسب صفة قانونية منذ الاعلان عن النظام الاساسي في مارس ١٩٩٢. فبحسب التقليد والقانون الاساسي فإن سلطة الملك أصبحت مطلقة فهو الرئيس الاعلى للبلاد وهو الذي يرأس السلطة التنفيذية والتشريعية (مجلس الوزراء) وهو القائد الاعلى للقوات المسلحة.. وله صلاحيات واسعة في مجال اعلان الحرب وعقد المعاهدات الدولية والمصادقة على ميزانية الدولة، واعتماد المبعوثين الدبلوماسيين ومنح الرتب والاوسمة والميداليات.. وتوجيه السياسة العامة للدولة، ويكفل التوجيه والتنسيق والتعاون بين مختلف الوزارات ويضمن الاضطراد والوحدة في أعمال مجلس الوزراء، حسب د.عبد الله القبّاع. وهذا يجعل منه الرجل الاقوى والأول في عملية صناعة القرارات في المملكة سواء فيما يتعلق منها بشؤونها السياسية أو الداخلية على السواء.

فما يلحظ في عهد الملك فيصل أن تركيزاً كثيفاً تم للسلطة، حيث كان الملك يتدخل في الشؤون الكبيرة والصغيرة الخاصة بكافة الوزارات، فهو يقرر ما يجب ان تقوم به الوزارات ويرسم السياسة الخارجية والداخلية، بل تكاد سلطة الملك تصل الى مستوى متدنٍ للغاية في موضوعات بإمكان مدير مركز او موظف عادي القيام بها، من قبيل، على سبيل المثال، نقل الائمة والمؤذنين من المكافآت الشهرية الى رواتب ثابتة بوظائف خارج الهيئة، والموافقة على اشتراك وفد من الغرفة التجارية الصناعية بجدة في المعرض الصومالي، والترخيص لانشاء البنك العربي الوطني شركة مساهمة سعودية، والموافقة على دراسة فكرة إنشاء مشروع يربط المملكة بجمهورية مصر العربية عن طريق الكيبل البحري والموجات اللاسلكية المنثورة بغية تحسين ورفع كفاءة الاتصالات بين البلدين، والموافقة على تبرع المملكة بطبع القرآن الكريم والكتب الاسلامية في سلطنة ترنقانو، وتخصيص منطقة سكنية للبدو تبعد عن العقبة بحوالي ٢٧ كم داخل حدود المملكة بمنطقة الشمال، والمصادقة على النظام الاساسي للاتحاد الاسلامي لمالكي البواخر، والموافقة على تشكيل لجنة المعرض والاسواق الدولية مهمتها إقامة المعارض في داخل المملكة وخارجها، وإصدار الموافقة على تحديد أسعار المياه، وتنظيم المجالس البلدية ومصالح المياه والمجاري، والموافقة على ترسية مشروع مستشفى الولادة والاطفال في بريدة وغيرها من القضايا.

الملك عبد الله بحاجة الى التخلي عن كون الملك حاكماً مطلقاً أو زعيماً قبلياً بتقنيات حديثة وأن لا يرهن الدولة لشخص

إن ذلك الانخراط الكثيف لسلطة الملك في مجمل شؤون الحياة قد أرسى تقليداً إقتفى أثره الملوك اللاحقون، فنجد ذات المنهجية تكرر نفسها في عهد الملك خالد فكان يصدر مراسيم ملكية بالموافقة على منح ترخيص لانشاء شركات مساهمة كتوليد وتوزيع



سلطان: مغرم بإذلال الناس

الكهرباء في منطقة محددة، فضلاً عن زيادة الرواتب والمكافآت التي باتت حصرياً امتيازاً ملكياً (مكرمة)، أو الموافقة على وثائق لمؤتمرات ذات أهمية محدودة مثل وثائق المؤتمر الثاني للاتحاد البريدي العالمي.

وقد إتبع الملك فهد منهجية مطابقة لمنهجية الملك فيصل في إصدار القرارات والاوامر السامية حيث نلحظ صدور مراسيم ملكية في موضوعات مشابهة كالموافقة على المشاركة في مؤتمر ما في الخارج، أو في تأسيس شركة مساهمة، أو الموافقة على تقديم مساعدة للفقراء في الداخل، وزيادة المرتبات ومنح العلاوات والرتب وتحديد الاسعار وإصدار التصاريح. ومن غريب المراسيم الملكية، إصدار الملك فهد في ٢٤ مايو ١٩٨٦ أمره الى الامير سلطان النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع بتوفير الضمانة الطبية اللازمة للرئيس الصومالي السيد محمد زياد بري على اعلى المستويات في المملكة.

كان الملك يتصرف بوصفه حاكماً مطلقاً أو زعيماً قبلياً بتقنيات حديثة، بما جعل مصير الدولة يتقرر ضمن دائرة ضيقة للغاية لا يتجاوز عدد المشاركين فيها عن شخص الملك، وهو ما يفرض على الملك عبد الله التفكير الجاد في إعادة النظر في هذا التقليد غير المبرر، والذي ساهم في تعويق قضايا

الدولة وسير شؤونها، وبات نقل أجزاء كبيرة من السلطة الى الجهاز الاداري للدولة بصورة تنظيمية وتخصصية ضروري بالنظر الى التعقيدات الشديدة في اجهزة الدولة وطبيعة حاجات السكان الى جانب توفر وسائل متطورة تسهّل مهام الدولة.

الملك بين التحالف الداخلي وتعيين الابناء

بعد أن إشتد ضغط العائلة المالكة على الملك سعود لجأ الى تعيين أبنائه في المناصب الحساسة، فعيّن إبنه فهد مديراً لديوانه الخاص، ومحمد آمراً على حرسه الخاص. وفي عام ١٩٥٧ أصبح إبنه فهد وزيراً للدفاع، وإبنه مساعد آمراً على حرس القصر الملكي، وإبنه خالد رئيساً للحرس الوطني والذي تم إستحداثه، وإبنه سعد قائداً للحرس الخاص.

وقد كان تعيين أبناء الملك كأذرعة مساعدة يعملون كهيئة استشارية للملك تقوم على خلفية اهتزاز الثقة داخل العائلة المالكة حيث يلوذ الملك الى القرابة بدلاً من الكفاءة حتى داخل العائلة المالكة. ندرك أن خيار الملك سعود بالاستعانة بالابناء جاء على خلفية صراع داخل العائلة المالكة والخشية من إزاحته عن منصبه، ولكن استمرار العمل بهذا الخيار من قبل الملوك اللاحقين (باستثناء الملك خالد) يعيد احياء ذات المخاوف على الاقل من وجهة ثانية، أي لغرض إحكام القبضة على العرش ومزاولة اقصى درجات التسلط والانفراد بعملية صناعة القرار.

الأمر الآخر، بناء التحالفات داخل العائلة المالكة، والذي تبدو تمظهراته الخطيرة في الحلف السديري الذي يخشى من استمراره في المستقبل، سيما حين يكون التحالف قائماً على أساس احتكار السلطة.

في شهر مارس/آذار ١٩٥٨ عقد تسعة من إخوة الملك سعود وهم (عبد الله، عبد المحسن، مشعل، متعب، طلال، مشاري، بدر، فواز، نواف) ولم يكن من بين هؤلاء أي من الامراء السديريين، عقدوا إجتماعاً في قصر الفخرية في الرياض (قصر طلال) وكانوا قد استمعوا لخطاب عبد الناصر من إذاعة القاهرة حمل فيه على سعود ومؤامرته ضد سوريا. وكان فيصل في أميركا حينذاك وبقي لعدة أيام للعلاج من ورم في معدته وفور عودته جاءه الامير طلال وأخبره عن إجتماع الاخوة التسعة ولما وصل الى قصر الفخرية كان طلال ومشعل وبدر لديهم اقتراحات معينة بوضع دستور محدد واشراف أبناء عبد العزيز في الحكم وتحديد صلاحيات الملك وحين تم عرضه على الملك سعود قبله على الفور.

وعلى أية حال، فقد تفتت التحالف فور وصول فيصل الى العرش الذي أصبح ملكاً مطلقاً، فيما بدأ يستعين بأمراء آخرين من الجناح السديري، وقد مهّد ذلك السبيل للاخير في الاختراق التدريجي للسلطة، وقد بدا ذلك واضحاً في عهد الملك خالد الذي مكّن أخاه غير الشقيق، الملك فهد، من ادارة البلاد. ومنذ عام ١٩٨٢ أصبحت الدولة تدار بصورة شبه كاملة من قبل الجناح السديري، وهو التحالف الاقوى داخل العائلة المالكة.

إن الملك الجديد أمام خيارين أحلاهما مر، فإما اللجوء الى خيار تعيين الابناء لتعزيز موقع الملك وصناعة قوة مضاهية للتحالف السديري أو صناعة حلف واسع من داخل العائلة المالكة يكون له القدرة على تغيير معادلة الحكم. وفيما يبدو فإن الملك عبد الله يميل الى فتح الباب امام اشراك مجموعة من الامراء المبعدين مثل بدر ومتعب وربما طلال، وهناك تغييرات أخرى تبدو ضرورية في قيادات بعض الاجهزة الامنية والعسكرية بوصفه القائد الاعلى للقوات المسلحة.

الملك يميل الى فتح الباب امام اشراك مجموعة من الامراء المبعدين مع ضرورة التغيير في بعض الاجهزة الأمنية والعسكرية

قد يكون من المناسب الاشارة هنا الى التغيير الشكلي الذي أحدثه الملك عبد الله مع كونه يحتفظ بشحنة دلالات معبّرة، فقد ألغى عادة تقبيل الايدي والانحناء للملك والامراء الكبار وهي عادت دخلت في عهد الملك فهد وهي من العادات الغريبة على تقاليد المجتمع القبلي المحافظ.. وقد عبّر أحدهم في تصوير هذه العادة على أنها تنطوي على إهانة كبيرة للمجتمع الذي يستهجن هذا النوع من العادات، فقد أحيا الملك السابق تقاليد الحكم الملكي الامبراطوري الشاهنشاهي في ايران ومصر وبريطانيا القديمة. ومن الجدير ذكره أن هذه العادة تسربت واستشرت بصورة واسعة بين أمراء الجناح السديري الذين جعلوا من تقبيل الايدي والانحناء مقياساً للولاء والطاعة لهم. وقد كان الموقف من هذه العادة المستهجنة منقسماً بين من يرفض مجرد زيارة مجلس الامراء حتى لا يكره على الامتثال لعادة لايرتضيها، أو بين من يختار من المجالس ما تخلو منه هذه العادة أو بين من يضطر الى فعل تقبيل الايدي والانحناء رجاء التقرب والتزلّف او الحصول على حاجة من هذا الامير وذاك. وفي كل الاحوال، قسمت هذه العادة المجتمع، وصار مثار نقد من قبل أكثر الناس الذين لم يألفوا ويرفضوا مثل هذه العادة المهينة، وكان النقد يصدر في الغالب من رجال الدين وزعماء القبائل والوجاهات الاجتماعية والسياسية غير المصنّفة ضمن شبكة التحالفات الداخلية.



عبد الله: يكره عادة التقبيل والإذلال!

وسيسجل التاريخ أن الملك عبد الله هو من أبطل هذه العادة السديرية بإمتياز، في الوقت الذي ستحتفظ سجّلات التاريخ ببدعة سوداء أحدثها الملك فهد ومضى عليها السديريون في عملية تقبيل الايدي والانحناء لأهل السلطة. ومن اللافت أن قرار الملك عبد الله بالغاء هذه العادة جاء بعد يومين من مشهد التقبيل والانحناء الذي امتد طويلاً خلال مناسبة توديع الامير سلطان ولي العهد، المعروف عنه حبه الشديد لهذه العادة المستحدثة.

مع العواجي مرة أخرى

نماذج من الأدب السلفي الوسطي الإصلاحي الرفيع!

هو مغرم بالسب والشتم والتعرّض للآخرين.. هذا ما يبقيه حيّاً في الذاكرة.

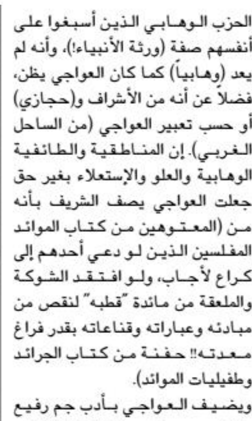
كل يوم له قصة مع هذا الكاتب أو تلك الصحافية. وكل ذلك دفاعاً عن المثل والقيم، ودفاعاً عن أناس لا يمتلكون فماً يردون ولا يداً تبطش ولا أقلام تفتي ولا سلطة في الدولة! فجاء منافحاً عن الدين والمذهب والمنطقة، وعن وزارة الداخلية التي يعمل معها، بعد أن استصدر شهادة اعتقال يقدّمها بوجه من ينتقده.

الكليشات ذاتها تتكرر، والعبارات الرقية ذاتها تتفايض على صفحات الإنترنت؛ والنفس المريضة لم تصح أو تنتصح بعد، وأنّى لها ذلك وهي لا تستطيع إلا البوح بما في داخلها ورش الآخر المختلف بسيولٍ من السباب والشتائم (حفاظاً على الدين طبعاً).

في هجومه الجديد على الشريف عبدالله فراج الشريف، أتحفنا العواجي مجدداً بأدبه (الإسلامي!) الرفيع، وتواضعه الجمّ، وبعده الشديد عن المناطقية والطائفية.. وكشف عن (وسطيته) و (إصلاحه) وغير ذلك من مآثره التي يعرفها الناس عنه، والذي طفق يحدثنا عنها حتى قيل له مراراً (كفى.. كفى) والتي امتلأت بها مقالة الأدب الرفيع ضد الشريف والمؤرخة في ١٤٢٦/٨/٥هـ.

من نصوص الأدب الرفيع جاء وصف العواجي في (القطعة الأدبية الرفيعة) والتي سمّاها (عبد الله الشريف من ركبة بن براهيم الى دروشة الصوفية) للشريف وأمثاله بأنهم من (المتسللين لواذاً المتربصين المترصدين ممن في قلوبهم مرض من أصحاب الحسابات الشخصية الضيقة الذين لا يكاد يتجاوز ذكرهم ظل أجسامهم في الظهيرة).. وأنه من بين (حفنة من كتاب الموائد المتزاحمين على مجالس الوجهاء لهثا وراء الغنيمة، يسيل لعابهم لكل لقمة يبذلون في سبيل مضغها كل ثابت ومتغير ورخيص ونفيس). واعتبرهم غير إصلاحيين مثله فهم (لا تجد لهم أي تضحية إصلاحية حرصا على شهوات بطونهم ومرتباتهم الشهرية).. إن الشريف بلغة العواجي الرفيعة وخلقه المتعالي مجرد صفيق يتطفل على المواقف والمآثر ويشتغل في الوظيفة الحكومية ويسب الحكومة (ويرضع) التقاعد حسب تعبيره، ويحسد بل ويحقد على أصحاب المآثر مثله وكأن العواجي لم يعمل في وظيفة حكومية ولم يداهن الدولة ويعمل في داخليتها.

كل جريرة الشريف عبد الله فراج أنه انتقد تطرف (حبايب) العواجي من التكفيريين، وبعض كرادلة



الحزب الوهابي الذين أسبغوا على أنفسهم صفة (ورثة الأنبياء!)، وأنه لم يعد (وهابياً) كما كان العواجي يظن، فضلاً عن أنه من الأشراف و(حجازي) أو حسب تعبير العواجي (من الساحل الغربي). إن المناطقية والطائفية الوهابية والعلو والإستعلاء بغير حق جعلت العواجي يصف الشريف بأنه من (المعتوهين من كتاب الموائد المفلسين الذين لو دعي أحدهم إلى كراع لأجاب، ولو افتقد الشوكة والملعقة من مائدة "قطبه" لنقص من مبادئه وعباراته وقناعاته بقدر فراغ معدته!! حفنة من كتاب الجرائد وطفيليات الموائد).

ويضيف العواجي بأدب جم رفيع يتناسب مع المدرسة والمنطقة التي ينتمي إليها وينافح عنها بالقول: (من هؤلاء رجل يقال له عبد الله فراج الشريف، خلقه الله بلا لون ولا طعم ولا رائحة سوى رائحة الحسد والحقد الدفين على كل ما هو سلفي؛ حقد جعله يقلب لأهله وعشيرته ظهر المجن، كانت له كتابات جيدة يدافع فيها عن أهل العلم طيلة عمله كمدرس ولكن بعد التقاعد انتكس وأصبح حضور أصوله وثوابته حيث تكون المائدة أدسم ويكون الخصم أحلم، لا يطيق ذكر عالم بخير.. لا يخفى حنينه الى الماضي البائد الذي إليه ينتسب ولا يحن إليه من له أدنى نية إصلاح مدني حضاري... لم يجد له منبرا يرتقيه ولا صحبة تؤويه سوى أن أصبح بالكاد جليسا تسد به فراغات الأرائك في بعض المجالس أو كاتبا في بعض صفحات الجرائد الإقليمية إما لملء بياض تبقى فيها، أو مجاملة لشيبته).

وزاد صاحب الأدب والخلق الرفيعين بأن الشريف فراج متلون فكرياً في كل مذهب، وأنه بدا سلفياً ثم تنكّر للسلفية (الوهابية). وما أثار أصحاب السلف أنه ظهر (في القناة المصرية بعمامته وجبته الصوفيه "خويا" مع عمر كامل متنكرا لكل ما هو سلفي). ولهذا شبهه العواجي بـ (بلعام بن باعوراء) الذي انسلخ من آيات الله و أخلد إلى الأرض وأتبع هواه. فالقرآن هنا هو ملك للعواجي ينزله على من يريد، فآيات العقاب لا تشمل أمثاله، وآيات الرحمة احتكرها لحزبه.

وفوق هذا، فإن الشريف حسب وصف العواجي (هذا المفلس) (هذا المغفل) (مجهول) (بلا تاريخ تمادى في تزوير التاريخ والخوض في أعراض



العواجي: الأدب الرفيع!

ومقام العلماء وازدراء الذوات حتى أصبح يلعق دماء الأحياء ويقرض رفات الأموات ويطعن في الشخصيات ويتهم النوايا ويتزلف للحاكم بالإستعداء) فضلاً عن أنه غير عاقل و (أمضى عمره بلا هدف، فواصل التخبط حتى بلغ من الكبر عتيا، فأصبح هشيما تذروه الرياح، تاه فكريا وعقديا أشد من تيه بني إسرائيل أربعين سنة).

زد على ذلك فإن عبدالله فراج ـ حسب صاحب الأدب الرفيع والخلق الجم ـ لديه (بذاءة لسان وقبح أخلاق) وسفيه يؤذي المؤمنين والمؤمنات (لا ينتقد الأفكار بل يقفز للذوات ويتلذذ في شخصنة القضايا وله مآرب إقليمية وثارات قديمة لا تعنينا ولسنا مسئولين عن هزائمهم النفسية والعسكرية في الماضي) وهو هنا يشير الى هزيمة الحجاز عسكرياً قبالة نجد الوهابية وانتهاء دولة الحجاز. ولنلاحظ هنا أن العواجي بكتابته هذه بعيد عن السفه وقبح الأخلاق وبذاءة اللسان وهو هنا ينتقد الأفكار ولا ينتقد الشريف في شخصه!

واعتبر نقد الشريف للسلفية رغم كتاباته القديمة المؤيدة (مرحلة ما قبل الخرف) وعدّ النقد مجرد (نفث حقد على المدرسة السلفية)، وليس بغرض الإصلاح إذ يجب (الأخذ بالحساب دوافعه وتشفيه التاريخي) فنقده لها ليس مثل نقد العواجي فهناك فرق بين نقد وهابي نجدي للوهابية وبين نقد حجازي لها، فهناك (فرق بين النقد من داخل

المدرسة نفسها من أبنائها المخلصين - يقصد العواجي نفسه - للصحيح من تراثها وبين نقد من قرر الانحياز الكامل للجانب الآخر فأصبح في خندق المناوئين الذين تغلب عليهم الفجور بالخصومة، تمادى إلى أن ظهر بالقناة المصرية بزي الصوفي الحقيقي بالجبة والعمامة المميزة لهم وسافر الى مخرفي الصوفية).

والشريف حسب صاحب الأدب الرفيع (فاشل أخرق مخفق محب لذاته) (وإلا فمالذي يمنعه أن يتصدر في زمن التضحيات ويدخل السجون كغيره) يقصد العواجي هنا نفسه. لذا يستحق الحكم عليه بأنه (رضي بأن يكون مع الخوالف الذين يتربصون بالمصلحين الدوائر). فإذا كان عدم الدخول في السجون هو المعيار، فلم لم يدخل كرادلة الحزب فيما دخل فيه العواجي فيسجنوا، ولماذا لم ينتقدوا أولياء النعمة مثله حتى ينالوا الشرف الذي ناله العواجي؟!

ويمضي صاحب الأدب الرفيع، الوسطي صاحب الوسطية، الإصلاحي الذي لا نعلم أيّ إصلاح يأتينا منه وهو بهذا الأدب الرفيع فيقول - بعيداً عن الشخصنة!: (هذا العائل من كل موقف، المستكبر بكل وهم، لم أجد مخلوقاً يذكر له حسنة إصلاحية واحدة، وأدنى أدنى صغار طلبة العلم للمشائخ الذين ينال منهم خير منه علما وعملا، وهو من جهتي مجرد فرد يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، أعتبره ميت دماغيا منذ فترة).

ومن الأوصاف التي ألصقها صاحب الأدب الرفيع بالشريف (تقديراً لشيبته وكونه خريج دراسات شرعية) أنه قبيح السلوك، سيء الأدب مع مخالفيه! وأنه لئيم إذا أكرمته تمردا، صاحب رأي دبري، جبان، (وجهه ناشف)، (إنسان آلي تمت برمجته) (جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب) (مفتري) (مخادع) (ممثل). وكل هذا لا يدخل ضمن نطاق الفجور في الخصومة ولا في نقد الأشخاص دون الأفكار. ويزيد صاحب الأدب الرفيع قائلاً: (كنت أقنع نفسي بالأوهام أن هذا الرجل ممن يجب تحمله، ليس احتقارا لمسلم ولكن لأني فتشت في تأريخه وساءلت زملاءه فلم أجد منهم من يذكر لي موقفا سجل له). أما الأربعين سنة التي قضاها الشريف في التدريس فـ (أكاد اقول التدليس الديني.. وعندما تقاعد من مكة انتقل الى جده مرتادا مجالس ملونة حتى امتطاه بعض رموز التيارات الأخرى).

ولم يكتف العواجي المؤمن الوسطي الإصلاحي الداعية النجدي السلفي بهذا بل أضاف: (صاحبنا فاته كل ركب، وأصبح يصرخ راجلا بين المارة رغبة ورهبة وكرها وحسدا من عند نفسه، حتى تنكر لكل ما هو اسلامي، ووجد سيفونة العزف في بيئته - الحجازية - لكي يقول ما لا يستطيع قوله الثعالب الماكرة حتى جعلوه رمادا تذروه الرياح).

هذه الروح الإقليمية المناطقية الطائفية الفالتة من كل عقال ترمي بدائها وتنسلّ وتتهم الشريف بأنه من الطائفيين الحاقدين، حيث (تشهد سجلاتهم الأمنية - أي سجلات تحقيقات المباحث - أنهم أخطر على الأمة). وزاد بأن هاجم حجازياً آخر هو الصحافي علي حسون (ومن هؤلاء الطائفين علي حسون الذي قلب جريدة البلاد.. إلى مأوى للمنبوذين والطائفيين والحساد.. ولا أدل على ذلك من حرص رئيس تحريرها المتطفل على إبراز صور الطائفة الشيعية فقط على الصفحة الأولى وهم يبايعون الملك، وكأن الجريدة التي تصدر في جدة الغربية مخصصة لاستكمال مشواره الطائفي في القطيف الشرقية وظهران والذي بدأت تفوح روائحه النتنة من تأييده العلني للثورة الخمينية واستبشاره بمظاهرات القطيف كما هو موثق في سجله الأمني، ولو نبس ببنت شفه لكشفت ما هو أسوأ مما يعرفه يقينا ولا يخطر بباله وصولي إليه).



عبدالله فراج الشريف

لقد خطر ببالنا كيف تصل الى الأشياء والمعلومات من إضبارات وزارة الداخلية! وإلا من أطلعك على ملفه الأمني، وكيف عرفت أن سجلاتهم الأمنيّة تشهد بذلك؟!

الثنائي حسون والشريف (ثنائي عفن) بتعبير صاحب الخلق والأدب الرفيعين، حيث امتزج التاريخ الأسود للطائفي العواجي (عفواً حسون!) بالخرافي (الشريف) - وكل ذلك حسب قول الأديب البارع إياه - لأن الأول أفسح للثاني كتابة مقال! ولأن الأول أبرز أن الشيعة بايعوا عبدالله، فبيعتهم متميزة لأسباب سياسية ودينية، بينما بيعة الوهابية تحصيل حاصل فهم أصحاب البيت كما يقال! ولأن حسون يحن الى (ماض استبدادي بائد) ويقصد حكم الأشراف على الحجاز قبل أن يدهمه الوهابيون النجديون بغائلتهم، والعواجي ينتسب اليهم منطقة ومذهباً. وفي النهاية يسخر (ضمن الأدب الساخر) فيقول: (لعلك مع رئيس تحرير البلاد الطائفي تحصلان على رتبة آية الله بعد أن أفلست من السلفيين والعلمانيين والصوفيين).

وكالعادة، وكما يقول بعض العنصريين في الغرب (الله أبيض God is White) أي أن الله - تبارك وتعالى - هو رب البيض فحسب، والسود لا ربّ لهم، يأتي العواجي فيقول بأن الله غفر له ما تقدم من ذنوبه وما تأخر، وأن الله رفع مقامه، متصنّعاً التقوى والتواضع الكاذب بعد هذا السيل من السباب الذي لا يليق بالبشر فضلاً عن المسلم، فضلاً عن الداعية، ولينتهي بالقول أن (الله) (يسر لنا اسبابا لم يمنعك من الأخذ بها إلا جبنك وركونك للسلامة وحب الراتب والخوف من السجون وقصورك عن الصدع بالخطوط العريضة للإصلاح العام التي قلناها مبكرا ودفعنا ثمنها يوم أن كنت "خلف أتانك تتقمّل"..). أي حين كنتَ تصطاد القمل من رأسك وأنت خلف حمارتك! يا له من أدب راق!

ويتابع: (ثم أعلم ايها المغفل أن دولة الأشراف زالت على يد من لا يعرفون القراءة والكتابة!) (هكذا أنت يا عبد الله الشريف عاريا فكريا ثم تكتب لتكسب "فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون"..).

وبلغ الذوق الرفيع والخلق السامق مبلغه بهذه العبارة: (فيا هذا المسكين: إعرف قدرك، والزم مكانك، واحسب للرجال حسابهم، واعلم أن إماطتك عن طريق القافلة صدقة نحتسبها عند الله. والحمد لله الذي نزع من قلبي هيبة الأسود فكيف بطنين البعوض)؟!

يا للشجاعة والبأس!

ثم إن الشريف بيته من زجاج، أما بيت العواجي فـ (لا تطاله نظرات الأقزام) (أنت ومن على شاكلتك من الجبناء الذين يجعلون من أمثالك دروعا بشرية يحسبون أنهم سيواصلون تذاكيهم المكشوف وتوريط السذج دون أن تطالهم مباشرة سهام الدفاع المشروع عن النفس، ولهؤلاء جميعا أقول لهم بلا كرامة ولا تقدير: سحق الله كل متنكر لدينه، والصوفي والطائفي على ضلال نتعبد الله بالانكارعليهم بكل وسيلة، وتعايشنا معهم واتفاقنا على مصلحة وطنية أو وحدة اجتماعية ترتبط فيه االمصالح المعتبرة لا يعني بحال إقرارهم على باطلهم بيد أننا لا نخرج أحدا من الملة بلا مكفر واضح عندنا من الله فيه برهان، وعلماؤنا رغم أنف الشريف وساداته تاج على رؤسنا مهما انتقدناهم أو اختلفنا معهم).

شكراً محسن!

لقد عرفنا المناطقي والطائفي وقليل الأدب والفاجر بالقول وبالفعل!

مجزرة الوهابية لتراث المسلمين في الحجاز

قصة الدمار الكبير لآثار الإسلام في مكة والمدينة

تثير المخططات الجديدة في المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة، حفيظة المؤرخين والمهتمين بالآثار في المملكة العربية السعودية لبترها معالم أثرية وتاريخية هامة يرون أن وجودها لا يمكن أن يؤدي لبدعيات أو الى التبرك بها.

ورأى المفكر المعروف الدكتور أنور عشقي في إتصال هاتفي أجرته معه (العربية. نت) أنه يجب دراسة قضية الآثار بعمق ووضع خطة متكاملة لها وليس علاجها بمعاول الهدم. وقال إنه ليس هناك مبرر للادعاء بأن الآثار الباقية في المدينة المنورة وهي لا تزيد عن ١٠٪ مما كان موجودا قبل توسعة الحرم النبوي الشريف، ستؤدي إلى بدعيات أو إلى التبرك بها.

وكانت جريدة الوطن السعودية قد نشرت الخميس ٢٠٠٥/٨/٢٥ بأنه بات من المؤكد أن يأتي مخطط المدينة الاستراتيجي الذي تنفذه أمانة المدينة المنورة على أحد أهم الأحياء التاريخية فيها. وقالت إنه لم يتبق سوى بضعة أمتار يتوقع لها أن تلتهم في غضون الأشهر الثلاثة المقبلة معالم حي (الشريبات) التاريخي الذي يختزل حزمة واسعة من المواقع الأثرية المرتبطة بالسيرة النبوية، والتي يعدُّها المؤرخون شاهداً حياً على عظمة الدولة الإسلامية الأولى، عندما كانت المدينة المنورة عاصمتها الأولى.

وفي حين أتت الأعمال البلدية التي كانت قد بدأت منذ أشهر على أجزاء واسعة من الحي، فوجئ المهتمون بأن الأعمال ستتواصل لإنجاز شوارع ومخططات ستلتهم مساحات إضافية من حي (الشريبات) والأحياء المناهزة له.

ويضم الحي التاريخي، الذي يقع جنوب شرقي المدينة النبوية ويعد جزءاً من منطقة العالية أو (العوالي) الذائعة الصيت لدى المؤرخين، عدداً من المواقع التاريخية الهامة منها مسجد (بني قريظة) الذي هدم قبل نحو ثلاث سنوات، وباتت آخر رسومه مهددة بشارع فرعي يخترق موقع المسجد، حسب ما ورد في خرائط الأمانة.

وتقع على بعد بضعة أمتار من المسجد مزرعة (حاجزة) الضاربة في القدم، والتي تذكر بعض الروايات أنها كانت وقفا قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

ويؤكد الباحث في تاريخ وآثار المدينة المنورة الدكتور غازي التمام أنه (تمَّ في تلك المزرعة إحتجاز أسرى معركة بني قريظة المفصلية) وكان ذلك، حسب وصف التمام، سبب تسميتها (حاجزة).

وجاء في تقرير (الوطن) أيضا أن هذا الحي الذي لا يفصله عن الحرم النبوي الشريف سوى مسافة ٢٥٠٠ متر والذي بات مخطط الأمانة يحاصره من كل مكان، يحتضن مزرعة (ماسكة) التي تمتد جذورها إلى مئات السنين، وترتبط على نحو خاص بالشعر والشعراء منذ صدر الإسلام.



البيت الذي عاش فيه الرسول (ص) ٢٨ عاماً

مخطط أمانة المدينة المنورة

ورغم أن الهيئة العليا للسياحة تولي، حسب بياناتها المعلنة وموقعها على الإنترنت، إهتماما خاصا بالأحياء التاريخية في السعودية بوصفها إرثا وطنيا قابلا للاستثمار السياحي، إلا أن تحركات أمانة المدينة المنورة الأخيرة – حسب الصحيفة – تكشف عما يمكن اعتباره إستمراراً في فقدان أهم ملامح الشخصية التاريخية للبلاد، وهي الآثار الإسلامية، تلك التي ما تزال المدينة النبوية الأقرب لها، تاريخياً وجغرافياً.

وذكر مهندسون معنيون بالشأن الأثري للمدينة أن المخطط الإرشادي الذي تتبعه أمانة المدينة المنورة ويهدف إلى تفكيك الأحياء العشوائية، لم يكن عليه لزاماً إختراق ذلك الحي التاريخي وغيره من المواقع، وكان بإمكانه اللجوء إلى وسائل أخرى تفي بالخدمات التي ينتظر أن تؤمِّنها ذات الطرق المخترقة للحي التاريخي.

وقالوا إن الطريق الجديد الذي دفعت به أمانة المدينة المنورة والذي يربط بين طريقي (الهجرة) و(القصيم) ويخترق الحي لا يعطي أية مزايا مهمة تعلل طمس المواقع الأثرية كضريبة لها، فيما ينادي (المخطط الإرشادي) الذي تتبعه الأمانة في كافة أعمالها بالحفاظ على المساحات الخضراء في المدينة المنورة، وهي المساحات التي تتوجه الأعمال البلدية إلى إهلاك الكثير منها.

وأشار هؤلاء إلى حجم الخسارة المذهلة التي يمكن أن تسفر عنها التحركات الأخيرة لأمانة المدينة، تلك التي تتجاوز الموجود الثقافي الضخم في المنطقة إلى الإرث البيئي الذي تمثله كل تلك البساتين التي تشكل بقعة خضراء تظلل التاريخ في ذلك المكان.

أما المفكر الاستراتيجي الدكتور أنور عشقي فقال تعليقاً على ذلك لـ(العربية.نت) إن مسألة الآثار في المدينة المنورة مسألة حساسة جداً، فيها طبعاً وجهة نظر لبعض الفقهاء في المملكة العربية السعودية، وأيضاً فيها تشدد من بعض المتشددين.

وأضاف أن هناك مناطق تاريخية لا يكون عليها غبار من ناحية الحفاظ عليها والاستفادة منها، فلو جئنا إلى موضوع المدينة المنورة التاريخية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، نجد أن هذه المدينة كلها تقريباً، أو أستطيع أن أقول ٩٠٪ منها دخلت في الحرم النبوي.

وأصبحت هذه المدينة التاريخية الآن جزءا من الحرم النبوي، وما زاد عنها معظمه آثار إسلامية لا تنتمي الى العصر النبوي، ولهذا ليس هناك مبرر للادعاء بأن بقاؤها سيؤدي إلى بدعيات وغير ذلك.

سلوكيات المنحرفين ليست مبرراً لهدم الآثار

واستطرد الدكتور عشقي في حديثه

تراث الحجاز

للعربية.نت بقوله: نحن لا نريد أسلوب البتر في عملية الآثار، يعني اذا كان هناك بعض السفهاء والمنحرفين إعتقدوا خطأ بأن هناك بركة أو شيئاً يتبرك به في بعض الاثار القديمة، فإن هذا الأمر لا يبرر بأن نقوم بهدم هذا الأثر، بل يمكن الاستفادة منه اذا استطعنا أن ندرسه ونجد أن له مردوداً تاريخياً وعلمياً إنسانياً. فمن الأفضل أن يبقى هذا الأثر.

وأكد أهمية أن تدرس الآثار بعمق وتوضع لها خطة متكاملة، مشيراً إلى أن العلاج بمعاول الهدم ليس صحيحاً. فلابد من التوعية، لأن أسلوب البتر ليس هو الأسلوب الأمثل للتعامل مع القضايا التاريخية والآثار.

وأوضح أن المدينة المنورة بحسب ما نعرف ليست مدينة واحدة بل هي مدن فوق بعضها تاريخياً، فإلى الآن مثلا العشرين بئراً التي حفرها (تبة) لم يعثر عليها حتى الآن لأن الذين يعرفونها ماتوا، وأذكر أنه عندما جاء وفد من مصر قبل سبعين سنة، خرج معهم والدي رحمه الله وأطلعهم على هذه الآبار ومواقعها، والآن لا يوجد من يعرف هذه الآبار وغيرها. هناك قضايا كثيرة تتعلق بالجانبين التاريخي والانساني من الأفضل أن تبقى.

وهناك قضايا تتعلق بالجانب التاريخي مثل غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، مثلا جبل (الراية) يجب أن يحافظ عليه لأن موقع القيادة الذي كان يشرف عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الجبل ويقود المعركة الدفاعية منه.

أيضا جبل أحد، جبل الرماة، من الصعب أن يكون فيه شئ بدعي، ولكنه يسجِّل واقعة تاريخية أن الرسول صلى الله عليه وسلم أول من وضع فكرة جمع الرماة في مكان واحد وليس نابليون كما يدعي الغرب.. أمور كثيرة يجب أن تكون موضع دراسة دقيقة، لهذا يجب أن ندرس القضية دراسة متأنية يشارك فيها العلماء أيضا للحوار حولها وكيفية علاجها.

مساجد لها تاريخ في المدينة المنورة

ومن المعروف لدى علماء التاريخ أن التوسعة الأخيرة للمسجد النبوي قامت على كامل مساحة المدينة المنورة التي كانت في العهد النبوي. وقد ثار جدل قبل نحو ٤ سنوات حول هدم مسجد الإمام علي العريضي حفيد الإمام علي بن أبي طالب في المدينة. بسبب أنه قائم على قبره، وهو المسجد الذي أزيل بالفعل.

هناك أيضا مسجد قباء وهو قائم مجدد ومعروف، ومسجد الجمعة وهو المسجد الأول الذي اقيمت فيه صلاة جمعة في الاسلام، ولا يزال أيضا قائماً ومعروفاً، ومسجد الغمامة، ولايزال قائما، و مسجد العنبرية، ومساجد ابو بكرالصديق، وعمر، وعثمان بن عفان، ومسجد

هدم آثار المدينة المنورة

إحتجاج هيئة السياحة السعودية: في الوقت الضائع!

إستيقظت هيئة السياحة السعودية بأمينها العام الامير سلطان بن سلمان بعد طول سبات، وبعد أن أنهت معاول الدمار مهمتها في آثار الاسلام في المدينتين المقدَستين، وحين فاقت من غفوتها راعها فحسب هدم بعض الآثار سكة الحديد في المدينة المنورة، واحتسبه خطئاً ومع ذلك فلم تبلغ ذروة حرصه على الاثار سوى إنتظار إجابة شافية من أمانة المدينة المنور، هذا بعد أن شهد الحاضر وسمع الغائب أن هذا الأثر التاريخي قد جرى هدمه واكتفى الهادمون بجمع بقاياه رأفة ورحمة حتى يدفن في دارة حفظ الأثار، وهي أقرب الى ثلاجة أجساد الموتى.

يسأل الامير عن ظروف الهدم وأسبابه، وكأنه الجاهل بما لا يصح الجهل فيه بلا ولا إمكانية ضئيلة للجهل به، فهي ليست أول سابقة وأن الظروف لا تتطلب عناءً طويلاً خصوصاً وأن فعل الهدم قد وقع، فالتحرك بصورة واضحة وجلية حسب قوله يأتي بعد خراب مالطا.

في حوار الأمير سلطان بن سلمان مع صحيفة (الشرق الأوسط) اللندنية في الرابع من سبتمبر ما يثير الغرابة حيث ذكر ليس من صلاحية أمانات المدن والبلديات المساس بالمواقع الأثرية أو هدمها، مشيراً إلى وجود قرار من الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء يقضي بعدم إزالة أية مبان أو آثار إلا بعد معاينتها من وكالة الآثار، حتى تتمكن هيئة السياحة من تقييمها لأن وكالة الآثار وهيئة السياحة هما الأقدر على تقدير أهمية ذلك الاثر حضارياً وإنسانياً. الغرابة في تصريح الامير سلطان بن سلمان أنه يأتي بعد أن محيت نحو ٩٠ بالمئة من الآثار الدينية والتاريخية وكأن عملية المحو تمت على أيدي مخرِّبين جاءوا من كوكب آخر أو من أشباح قدموا في جنح الظلام فأزالوا تلك الآثار في غفلة من الاميرين.

يقول الأمير سلطان، وهو مدعاة أخرى للغرابة والدهشة في آن، إن الهيئة العليا للسياحة تحركت بشكل فوري وبعثت ببرقية عاجلة إلى أمين المدينة المنورة (للاستفسار عن الحادثة ونحن ما زلنا ننتظر إجابة شافية من الأمانة حول ظروف الهدم وأسبابه، ولماذا اتخذ قرار الهدم حتى نستطيع أن نتحرك بعد ذلك بصورة واضحة وجلية). وكنا نأمل أن يمتد بصر هيئة السياحة ليصل الى دائرة الدمار الواسع الذي لحق بمجمل الآثار الدينية والتاريخية في مكة والمدينة.

الجديد في تصريح الامير سلطان بن سلمان أن ظروف الهدم وأسبابه غير مقنعة وليست واقعية، وبخلاف ما قيل عن ان خط السكة الحديد قد تسبب في إيذاء المشاة بفعل الانهدام الذي أصابه بفعل السيول وقال الأمير سلطان (قمت شخصيا بمعاينة خط السكة الحديد كاملا قبل اشهر وطرت فوقها على ارتفاع منخفض وهي في معظمها ليست قريبة من السكان وبعض المحطات تحمل أهمية تاريخية وأثرية عالية، خاصة ما تحمله من مضامين حضارية، وقبل أربعة أو خمسة أعوام تم ترميم المحطة النهائية في المدينة المنورة على حساب الدولة بـ ٢٤ مليون ريال، حتى أن القطار الموجود حاليا تم تشغيله من جديد.

ووكالة الآثار تبحث في إمكانية تحويله إلى متحف يمكن زيارته والإطلاع على ما يتضمنه من آثار كما يتم ترميم الخط بكاملة إضافة إلى بعض القلاع).

وعن كيفية مواجهة حوادث الهدم التي تمس مواقع حضارية وأثرية، قال الأمير سلطان (المملكة دولة ذات وزن حضاري كبير وليس من السهولة الهدم، ويكفي ما هدم خاصة أن الأمر قد صدر من أربع سنوات بمنع أية محاولات هدم، وليس من صلاحية أمانات المدن والبلديات المساس بالمواقع الأثرية أو هدمها ولكنني أيضاً متفائل خيراً خاصة أن الدولة مهتمة بآثار البلاد من خلال ترميم المواقع في بعض مدن المملكة ومثال ذلك ترميم منطقة قصر الحكم في الرياض وخطط ترميم جدة القديمة وغيرهما الكثير. ولا يمكن بأية حال من الأحوال ترك تراث البلد أمام كل اجتهاد، خاصة أن الاهتمام العالمي أدى ببعض الدول لوضع عقوبات لكل من يمس حجرا واحدا من كل ارث حضاري أو ثقافي).

الميقات، وأبيار علي، ومسجد القلبتين وغيرها من المساجد المعروفة. أما المساجد السبعة التي تقع حول الخندق (غزوة الخندق) فقد أزيل أربعة منها وبقي ثلاثة.

مكة .. مكمن أسرار الأرض

أيضا يعطي المؤرخون أهمية كبيرة للمدينة المقدَّسة الأولى للمسلمين (مكة المكرمة)، ويعتبرونها صرَّة الأرض، ومكمن أسرارها. فرغم أن أقلام التاريخ غمست في محبرتها المتدفقة، إلا أنها عجزت عن الوفاء بمحيط اسرارها.

وتنقل بعض الكتب التاريخية روايات أن في مكة ثلاثة من كنوز الجنة ليس في الكون مثلها أبدا، الحجر الأسود وبئر زمزم، ومقام إبراهيم. والكعبة المشرفة، بيت الله المعمور على الأرض.

ويوجد على بعد خطوات من الحرم شعب بني هاشم، وفيه الموقع الذي يعتقد أنه مكان مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وجبال أبي قبيس، وكداء، وحندمة، وفي كل منها تاريخ مكتوب بالأحجار لم تفك شفرتها بعد.

وفي بطحاء مكة مقبرة (جنة المعلاة) وفيها قبر السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، وحولها مقابر لعشرات الصحابة، ومئات التابعين وتابعيهم. وهناك أيضاً جبل النور المتوَّج بغار حراء، أول مكان نزل فيه القرآن، وعلى مرمى حجر منه تقع عرفات الله، التي لمت شعث ضياع أبينا آدم وأمنا حواء فتعارفا فيه فسميت (عرفات)، حسب ما تقول بعض الروايات التاريخية.

وهناك المشاعر المقدَّسة مسجد نمرة، وجبل الرحمة، ومزدلفة، ومنى، والجمرات الثلاث، يحيط بها أحواض عين زبيدة الشهيرة، التي بنتها زوجة هارون الرشيد لسقيا الحجاج وضيوف الرحمن.

وتؤكد كتب التاريخ أن تحت كل حجر في مكة قصة، وفي كل شعب من هذا الوادي (غير ذي زرع) حكاية. ومما تورده هذه الكتب عن أثار مكة المكرمة، مولد النبي صلى الله عليه وسلم، بالقرب من الحرم المكي بشعب بني هاشم، وهو في المكان الذي يعرف الآن بمكتبة مكة المكرمة.

وموقع مولد السيدة فاطمة الزهراء الذي دخل في توسعة الحرم، وكذلك دخل فيها موقع بيت السيدة خديجة بنت خويلد، وزقاق الحجر الذي كان يسلم على النبي، ودار الندوة.

من تلك الآثار أيضاً بئر طوى، وهو البئر الذي ثبت أن النبي شرب منه وأغتسل فيه خلال حجة الوداع، ومكانه مشهور في الحلقة القديمة بجرول أمام مستشفى الولادة بمكة المكرمة، وتوجد في الحجون جنة المعلاة، وهي أقدم مقابر مكة المكرمة.

وأكد الأمير سلطان أنه تم إعادة صياغة نظام المتاحف والآثار ورفعه للجهات الرسمية، وهذا النظام يشمل المحافظة على التراث العمراني.

ومضى يقول (أصبحت قضية هدم الآثار قضية غير مقبولة لدى المواطن، بل ان المواطنين رفعوا أصواتهم احتجاجا على عمليات الهدم وهذه من علامات التحضر وهي مؤشرات مبشرة، ولعلي هنا استذكر الدور الحضاري الذي يقوم به الحرس الوطني الذي ربطنا بتراثنا وسنعمل على ما بناه الحرس الوطني في مهرجان الجنادرية في الاعتراف والمحافظة على التراث الوطني).


سكة حديد الحجاز

مايلفت في الحوار مع الامير سلطان بن سلمان مع الصحيفة أنه لم يأت على ذكر الآثار الدينية فيما أفرط في الحديث عن الآثار التاريخية سيما المتعلق منها بآثار نجد، وكنا نتوقع منه كأمين لهيئة سياحية أن يكون أشد حرصاً وسخطاً على الدمار الكبير الذي لحق بآثار الاسلام في مكة والمدينة.

نشير الى أنه في الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ أقدمت الجرافات على هدم قلعة جياد بجبل بلبل بمكة المكرمة ومصادرة عموم الاراضي التابعة لها البالغة ثلاثة وعشرين ألف متر مربع بحجة وقفها على المسجد الحرام، مما أثار إستياءً واسعاً وسط أهالي مكة المكرمة اضافة الى الانتقادات الواسعة من جانب الاتراك. وفي الثاني عشر من أغسطس ٢٠٠٢ قامت جرافات ومعدات هدم عديدة قامت بإزالة مقام السيد العريضي (٧٦٦ ـ ٨٢٥م)، وكان يحتوي على مكتبة عامة كبيرة تحوي عشرات الآلاف من الكتب والمصادر الرئيسية للدارسين والباحثين في الدراسات الإسلامية. وقد شكل وفد من شخصيات حجازي دينية وسياسية واجتماعية والتقوا بالامير عبد الله (الملك حالياً) للتعبير عن احتجاجهم ضد تدمير هذا الأثر الديني والتاريخي.

وبحسب ما ذكرت صحيفة (الشرق الاوسط) فإن (عمليات هدم الآثار الهامة في المدينة المنورة ليست الاولى ولن تكون الاخيرة اذا لم يتخذ إجراء حاسم تجاه ذلك، فقد سبق وأن هدم جزء كبير من المساجد السبعة وأزيل مسجد بني قريظة بالعوالي وسوي بالأرض رغم مكانته الدينية والتاريخية والحضارية وما له من مكانة في العهد النبوي حينما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوم موقعة الأحزاب المفصلية)لا يُصلّين أحد العصر إلا في بني قريظة(وكذلك مسجد العريض بالحرة الشرقية).

وتمضي الصحيفة قائلة كانت قضية (المساجد السبعة وما طرح حولها من آراء متباينة تتجاذبها بين المناداة بإزالتها والإبقاء عليها وفق أسباب وحجج تحكم قناعات كل طرف، جاء تصريح وزيرالشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حاسما لتلك القضية بتأكيده (بعدم التعرض لها بإزالة أو تغيير لمعالمها وطالب بالاهتمام بها وتزويدها بكافة الخدمات أسوة بالمساجد الأخرى رغم أنه قد تم إزالة بعض منها).

ومضت الصحيفة تقول (ورغم المحاولات التي تقوم بها الجهات المعنية بالمحافظة على الآثار وفي مقدمتها وكالة الآثار والمتاحف والتي تعد الحلقة الاهم في مواجهة تلك الممارسات في محاولة لايقاف فقدان الإرث الثقافي والتاريخي من المعالم الإسلامية بالمدينة المنورة الا انها فشلت مرات عديدة في ذلك).

وانتقد عدد من المهتمين بالآثار، حسب ما أفادت به الصحيفة، ومنهم الدكتور عبد الله نصيف والدكتور عايض الردادي عضو مجلس الشورى والدكتور أنور عشقي التسرع في اتخاذ خطوات الهدم والإزالة، ودعوا للحفاظ على ما تبقى من آثار إسلامية ونادوا بالتريث في إزالتها باعتبارها وسيلة للاعتبار والاستذكار، كما أكدوا أنه بضياعها يضيع إحياء سنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقديم النصح والإرشاد مؤكدين على عدم إهمال الآثار بحجة أن هناك من يبتدع فيها أو يرتكب خطأً ومشيرين الى أهمية تصحيح الأخطاء الشرعية لكي يتحقق الأجر، خاصة مع تنامي دور هذه المواقع الدينية كعامل جذب سياحي.

وتزخر المدينة المنورة بالعديد من الآثار التي تعود للمراحل الأولى من التاريخ وتأتي الآثار الإسلامية في مقدمتها والتي تتخذ منها المدينة المنورة مكانتها في التاريخ، ويمنحها المسجد النبوي الشريف ثاني الحرمين الشريفين ومثوى الرسول صلى الله عليه وسلم مكانتها الدينية في قلوب المسلمين في أرجاء العالم.

ومـن الجبـال الـتـاريـخـيـة المشـهـورة في المدينـة المنورة جبل النور وفيه غار حراء، وجبل ثور وفيه غار ثور وهو الغار الذي إختبأ فيـه الـنـبـي مـع صـاحـبـه الصـديق في طريق الهجرة، وجبل أبي قبيس أول جبل في الأرض (كما تقول بعض الروايات التاريخية)، وجبل قعيقعـان من الجهة الشمـاليـة للحرم، وجبل الـكـعـبـة الذي أخذ مـنـه الـنبي إبراهـيـم وإبنـه إسماعيل بعض حجارة الكعبة، وجبل جياد، وجبل ثبير خارج الحرم، وجبل خندمة.

وفي مكـة المكرمـة مسـاجـد أثـريـة كـانت تقصد للزيارة منها مسجد أبي بكر الصديق، بالقرب من بركة ماجن في المحلة المعروفة حـالـيـا بـالمسـفـلـة، وقد أزيل مـع الـتـوسـعـات الـعـمـرانـيـة، ومسـجـد حـمـزة بـن عبدالمطلب بالمسفلة، ومسجد الجن، وهو مشهور ويسمى مسجد البيعة, ومسجد الحرس، ومسجد البيعة بمنى ويتردد أنه مهدد بالزوال، ومسجد نمرة الشهير بعرفات، ومسجد الخيف بمنى، ومسجد المشعـر الحرام في مـزدلـفـة، ومسـجـد السـيـدة عائشة والذي تم فيه صلح الحديبية، ويعرف الآن بمسـجـد الـعـمـرة في أول طـريـق المدينـة الـطـالـع عـلـى يمين المسـافـر، ومسـجـد الـرايـة ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه، وركز رايته حين فتح مكة بقربه، وقد أزيل في التوسعة الجديدة.

ومن تلك الآثار أيضاً الواردة في بطون الكتب التاريخية، مسجد المختبا في سوق الليل بـالقـرب من مـوقـع المولد، ويـقـال بـأن الـنـبي صلى الله عليه وسلم كـان يـخـتـبئ فيـه مـن الكفار، وقد أزيل في التوسعة الجديدة، ومسجد الإجابة في شعب بالقرب من ثنية أذخر.

آثار المسجد الحرام والمواقع الأثرية قرب مكة المكرمة

أمـا آثـار المسـجـد الحرام فـمـنـهـا، الكعبـة المشرفـة، وجـوف الكعبـة وفيـه مكـان صـلاة النبي صلى الله عليه وسلم، والألواح الأثرية لبنـاء الـكـعبـة عبر الـتـاريـخ، والـهـدايـا المعلقة للكعبة, وأعمدة الزبير ابن العوام الثلاثة التي يستند سقف الكعبة عليها، ومكان التوبة (وهو مـايـقـابل في الـداخـل لـلـحـجـر الأسـود)، وكسوة الـكـعـبـة من الـداخـل, وبـاب الـتـوبـة وهـو الـبـاب الـداخـلـي الـصـغـير المؤدي الى سـقـف الكعبة، سطح الكعبة، ومرزاب الكعبة.

ومـن خـارج الـكـعـبـة: الحجـر الأسـود, والملتزم, والركن اليماني, وباب الكعبة, وثوب الـكـعـبـة الخارجي, وسـتـارة الـبـاب المعروفة بـالبرقـع، وحجر إسماعيل، ويقال إن فيه مقابر الأنبياء، وصحن الطواف ويقال أن فيه قبور لـلأنـبـيـاء والـرسل السابقين، ومقـام إبراهـيـم عليه السلام، وقصة كونه حجراً يرتفع بـالنبي إبراهيم لبناء الكعبة العلوي.

مـن تـلـك الآثـار بـئـر زمـزم، والمقـامـات الخاصة بالمذاهب الأربعة، وقد ازيلت ولا تزال توجد لها صور، والبناء العثماني، لازال بعضه قائماً بعد التوسعة، والصفا والمروة، وبينهما المسعى الشريف، وهو من شعائر الله.

ومن أشهر المواقع الأثرية قرب مكة وادي حُـنين (يـدعـان) أعـلـى وادي الشرائع، الـذي حدثت فيه الموقعة المذكورة في القرآن الكريم: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً) الآية.

العربية نت ـ ٢٥ أغسطس ٢٠٠٥

يعود تاريخه إلى عام ١٩٠٠

هدم جسر (سكة الحجاز): فتش عن البدعة؟

قال رئيس بلدية العقيق المهندس حمزة جـعـفـر سـبـيـه إنـه تم هـدم جسر سكة حديد الحجـاز بـوادي الـعـقـيـق في المدينـة بـالـكـامل بناء على تعليمات أمين المنطقة المهندس عبد العزيز الحصين.

وأضاف سبيه في تصريح لصحيفة (عكاظ) السعودية الاحد ٢٨ ـ ٨ ـ ٢٠٠٥، أن أوامر الهدم جاءت بسبب سقوط عقدتين من الجسر بعد السيول التي إجتاحت المدينة في ديـسـمـبر/كـانـون الـثـاني ٢٠٠٤ إضـافـة إلى حوادث السقوط التي تضرر منها المشاة الذين يعبرون الجسر.

وتـفـاجـأت إدارة الآثـار بـإدارة تـعـلـيـم منطقة المدينة بهدم الجسر بعد أن سألتها صحيفة (عكاظ) السعودية عن الأمر، وأكد مدير الإدارة بالنيابة عبد الرحمن الخربوش أنه لا يعلم شيئا عن ذلك ولم يصل للإدارة أي شعار بالهدم.

ووضّح للصحيفة أنه تـابـع الجسر قبل أسبوع وفقا للجولات الميدانية الاعتيادية، وأفـاد الخربـوش أن الإدارة سـتـبـعـث مـنـدوبـا للموقع وكتابة تقرير حول دواعي الهدم.

وقـال رئيس بلـديـة الـعـقـيق إنـه استخدم لـهـدم الجسر دقـاقـات بـطـريـقـة يسيرة تضمن سـلامـة الحجـارة مـن التكسير ومن ثم رفعها إلى إدارة الصيـانـة بـالأمـانـة وحفظها من الضياع.



وأضـاف أن لجنـة مـن الأمـانـة وقـفـت لمراقـبـة عمليـة الـهـدم والـتـأكـد من وصـول الحجـارة إلى الإدارة، مشيرا إلى أن تنفيذ الهدم تم بحضور مستشار من الأمانة يحدد الأجزاء المستهدفة ويوجّه بإزالتها.

وقـال السكـان إنـهـم إسـتـيـقـظـوا نـهـايـة الأسـبـوع الماضي عـلـى أصـوات الـكـسـارات والـدقـاقـات الـتـي اقـتـحـمـت الموقـع وشرعت بـهـدمـه مـا دفـع الـبـعـض إلى الـتـجـمـع حـولـهـا وسؤال المهندسين والمنفذين عن سبب ذلك غير أنهم لزموا الصمت ولم يجيبوا على سيل الأسئلة التي حاصرتهم.

وبـعـد شـيـوع الـنـبـأ بـدأت قـوارح الأدبـاء والشعراء تتذكر الجسر وقال الشاعر الحجازي حسن الصيرفي بلسانٍ حزين: إن الموقع يمثل ذكرى تاريخية مسطرة هدمه بعد مئة سنة مـن رسـوخـه، مشيراً إلى أنـه مـن المفترض إصلاح الجزء الخرب بدلاً من هدمه وأضاف أنه خطي بأبيات القصيدة التي نظمها فيه أيـام الـصـبـا إلا أن ذاكـرتـه خـانـتـه في استعادتها. وخلص للقول بعين دامعة: (لعل هناك مصلحة عامة).

يـذكر أنـه لا تـزال هـنـاك آثـار تـاريخـيـة راسـخـة منذ إنشاء سكة حديد الحجاز سنة ١٩٠٠ خـلال قـيـام الـدولـة الـعـثـمـانـيـة وقد حـظـيت المدينـة المنورة بـاحـتـضـان محطة القطار الرئيسية بالعنبرية وجسر سكة الحديد بـوادي الـعـقـيـق وهـي مـن أشـهـر الـوديـان التاريخية.

العربية نت ـ الاحد ٢٨ أغسطس ٢٠٠٥م، ٢٤ رجب ١٤٢٦ هـ

البيئة الجغرافية الصعبة، وبيئة الإنغلاق، وانعدام التعددية الثقافية أدت الى تبنّي الوهابية وعنفها

مدخل لفهم العنف القادم من (الجنوب)

مجتمعات المنطقة الجنوبية تضم في تقديري ثلاث تكوينات اجتماعية متفاوتة هي:

١ ـ مجتمع البيئة الجبلية الممتدة من جنوب الطائف إلى فيفا، مروراً بأبها ونجران.

٢ ـ مجتمع البيئة الساحلية (تهامة) الممتدة من جنوب مكة إلى جازان.

٣ ـ مجتمع البيئة الصحراوية الواقع إلى الشرق من المنطقة الجبلية والممتد من جنوب شرق الطائف مروراً ببيشة وتثليث، وصولاً إلى شرقي نجران حيث منطقة الربع الخالي.

الانتماء الشديد لمدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وإفراز الشباب المتبني للعنف يكاد يتركز في مجتمع البيئة الجبلية من المنطقة الجنوبية. هذه المنطقة الجبلية تضم أيضاً ثلاث تكوينات اجتماعية متفاوتة هي:

أ ـ مجتمع البيئة الجبلية الممتد من جنوب الطائف إلى حدود نجران.

ب ـ مجتمع بيئة نجران.

ج ـ مجتمع بيئة فيفا.

ومرة أخرى، فالشيوع الكبير لأفكار مدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وإفراز الشباب المتحمس لأعمال العنف يتركز في المنطقة الجبلية الممتدة من جنوب الطائف إلى منطقة نجران. أي بحسب التقسيم الإداري: الجزء الجبلي من منطقة الباحة والجزء الجبلي من منطقة عسير. هذه ملاحظة أولى.

أما الملاحظة الثانية التي تستحق التسجيل فهي أن هذه المنطقة الجبلية، وبعكس ما يعتقد الكثيرون ممن يرون أن تبني أبناء هذه المنطقة للعنف ينبع من الجهل والفقر، فإن أبناءها هم أكثر أبناء المنطقة الجنوبية تعليماً وأفضلهم مستوى اقتصادياً. ويكفي أن نتنبه إلى أن الجزء الجبلي من منطقة غامد الذي يشار إليه على أنه الجزء الأكثر إفرازاً للشباب المتبني للعنف هو ذاته الجزء الذي يكاد أبناؤه يكونون أفضل أبناء المنطقة الجنوبية تعليماً وأكثرهم نجاحاً تجارياً واقتصادياً. بل وربما يكون ذلك الجزء من أكثر أجزاء المملكة دفعاً نحو التعليم والنجاح الاقتصادي.

في هذه المنطقة الجبلية الممتدة من جنوب الطائف إلى شمالي نجران هناك تشابه كبير في السمات والطباع والاهتمامات، وتقارباً حتى في الأشكال والأزياء التاريخية واللهجات. وبالمقابل فإنه يوجد تشابه كبير في السمات والطباع والاهتمامات والأشكال والأزياء التاريخية واللهجات بين أبناء منطقة تهامة من أبناء ذات القبائل التي توجد مراكزها في المنطقة الجبلية، إلى حد أنه يوجد تقارب بين الغامدي والعسيري الساكنين في المنطقة الجبلية بصورة تفوق في بعض جوانبها التقارب الموجود بين الغامدي الساكن في المنطقة الجبلية والغامدي الساكن في تهامة، وبين القحطاني

مواقع العنف في المنطقة الجنوبية لا تعود لأسباب اقتصادية إذ أن العنفيين أكثر غنىً وأرفع مستوى تعليمياً من نظرائهم في نفس المنطقة القاطنين في السواحل والصحاري

الساكن في المنطقة الجبلية والقحطاني الساكن في تهامة. تماماً مثلما يمكن أن نتحدث عن البدوي في منطقة نجد (سواء كان ينتمي إلى مطير أو عتيبة أو حرب) وعن سكان الواحات أو الحضر (مثل بريدة وعنيزة والخرج والدرعية) ممن قد ينتمون إلى ذات القبائل.

البيئة الجبلية لها تأثير عميق على أبناء المنطقة الجبلية من الجنوب، والبيئة الساحلية (منطقة تهامة) لها تأثير عميق على أبناء المنطقة الساحلية من الجنوب، حتى وإن كانوا ينتمون إلى ذات القبائل التي يسكن أبناؤها في المنطقة الجبلية. وذات الشيء يمكن أن يقال بشأن البيئة الصحراوية من المنطقة الجنوبية، أي المنطقة الواقعة شرقي جبال السروات، حتى وإن كانوا ينتمون إلى ذات القبائل التي يسكن أبناؤها في المنطقة الجبلية.

هناك مؤشر أولي يفسر كثرة إفراز المنطقة الجبلية من الجنوب للشباب المتحمس لأفكار العنف، وهو أن ذات المنطقة الجبلية هي أكثر منطقة سعودية يقبل أبناؤها على الوظائف العسكرية!! هذا الإقبال الشديد، وهذه الحفاوة بالأعمال العسكرية لم تأت عبثاً وليست خالية من الدلالة والمعنى. فهناك علاقة ما بين الاندفاع نحو العنف والديني والإقبال على الوظائف العسكرية، وبين البيئة الجبلية الممتدة من جنوبي الطائف إلى شمالي نجران!

لا أحد يمكن أن ينازع في أن منطقة نجد هي منطقة التبني الشديد لمدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، سواء بإفرازاتها الإيجابية في مجالات الدعوة والعلم والقضاء أو في جوانبها السلبية المتمثلة في التكفير والعنف والانغلاق والتشدد. في هذا العالم الواسع يوجد منطقتان هما الأكثر تأثراً بأفكار مدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأكثر قبولاً لها، وذلك خارج منطقة نجد، وهما الجزء الجبلي من المنطقة الجنوبية (الباحة وعسير) ومنطقة القبائل في جنوب أفغانستان وشمالي باكستان. وهذه المنطقة هي التي أنتجت جماعة طالبان، وهي المنطقة التي لا زالت تحمي ابن لادن والظواهري وغيرهما.

إفرازات الدعوة النجدية جاء معظمها من نجد ورجال نجد، بدءاً من علماء الدعوة إلى القضاة إلى المحاربين (جنود إقامة الدول السعودية الثلاث، وآخرهم الإخوان) وجماعة جهيمان وغالبية قائمة الستة والعشرين والستة والثلاثين. وهذه أمور لا أعتقد أن أحداً ينازع فيها.

إذا خرجنا خارج منطقة نجد فإلى أين تقودنا الخطى فيما يتعلق بشيوع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب؟!

لن تقودنا إلى المنطقة الشرقية، ولا إلى منطقة الحجاز.

البعض أشار إلى الفقر وقلة المشاريع، وأرجع إليهما التأثر بأفكار العنف من بعض من ينتمون إلى الأجزاء الجبلية من المنطقة الجنوبية. وأنا لا أنفي هذا العامل تماماً،

ظاهرة العنف

ولكنني أتحدث عن التأثر عموماً بمدرسة الشيخ بجوانبها الإيجابية والسلبية. لماذا لم تكن منطقة جازان هي المنطقة الأكثر تأثراً بدعوة الشيخ، وهي منطقة يكثر فيها الفقر وتقل فيها المشاريع وتكثر فيها الكوارث؟! لماذا ليست منطقة نجران هي المنطقة الأكثر تأثراً بدعوة الشيخ، وهي منطقة ليست أوفر حظاً من منطقتي الباحة وعسير؟! لماذا ليست المنطقة الشمالية من المملكة هي المنطقة الأكثر تأثراً بدعوة الشيخ، وهي منطقة ليست أوفر حظاً من منطقتي الباحة وعسير؟!

لماذا لا يتسبب الفقر في الإفرازات العنيفة في الأحياء الفقيرة في جنوب جدة، وبعض أحياء وسط وجنوب الرياض وقرى وهجر المدينة المنورة ووادي الدواسر وأمثالها؟! وبالمقابل لماذا يشيع التبني الشديد لدعوة الشيخ في منطقة مخدومة تنموياً ومتميزة تعليمياً مثل القصيم؟! أعلم أنه يوجد إجابات متعددة لهذه الأسئلة، ولكن مجرد حكاية الفقر وقلة المشاريع لا تفسر سلوكيات متباينة إزاء موضوع واحد.

البحث عن لقمة العيش يفسر الإقبال على الوظائف العسكرية وغير العسكرية، ولكن هل فعلاً تتماثل المناطق المختلفة وتتشابه على هذا الصعيد؟! هل هذا الإقبال على الوظائف العسكرية موجود لدى أهل كل المناطق المحرومة تنموياً مثل تهامة وجازان ونجران والمنطقة الشمالية من المملكة وأهالي بيشة ووادي الدواسر والأحياء الفقيرة في مكة وجدة والرياض بذات درجة الإقبال الموجودة في المناطق الجبلية من المنطقة الجنوبية؟

وكما أعلم فإن أبناء المنطقة الجبلية الممتدة من الطائف إلى أبها ليسوا الأسوأ تعليماً في المملكة، كما أنه قلما يوجدون في الأحياء الفقيرة في مكة وجدة والرياض، وقلما ينتجون طبقات معدمة كالتي تنتجها جازان أو بعض هجر المملكة أو ذوي الأصول الأفريقية أو أبناء الطائفة الشيعية.

أبناء هذه المنطقة الجبلية يكادون يقتربون من الطبقة الوسطى في عمومهم، سواء تعليمياً أو اقتصادياً، وأبناؤها يملأون الوظائف الوسطى المدنية والعسكرية، ويندر أن تجد الطبقة المترفة لديهم (قد تجد أفراداً ولكنك لن تجد طبقة، وهذا يرجع بالفعل لقلة المشاريع وقلة السماح لهم بشغل المناصب القيادية) ويندر كذلك أن تجد لديهم الطبقة المسحوقة (أيضاً قد تجد أفراداً ولكنك لن تجد طبقة).

أعود للقول بأن أكثر منطقتين في العالم تأثراً بأفكار مدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج منطقة نجد هما المنطقة الجبلية



الممتدة من الطائف إلى أبها وما حولها، ومنطقة جبال أفغانستان وما حولها (منطقة القبائل). وإذا صح ذلك فلماذا هاتان المنطقتان خارج منطقة نجد هما الأكثر تأثراً بمدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب؟!

سمات مشتركة

الواقع أنه يوجد سمات مشتركة بين هذه المناطق جعلتها الأكثر استجابة لأفكار مدرسة الشيخ والأكثر حفاوة بها وتمثلاً بها. هذه السمات هي البيئة الجغرافية الصعبة التي يتسم أهلها دوماً بالشدة والصلابة والصرامة، وكون هذه المناطق هي بيئات داخلية منغلقة تاريخياً، وانعدام التعددية الثقافية والمذهبية والاجتماعية في هذه المناطق. ولننظر إلى هذه السمات:

أولاً: البيئة الجغرافية

حتى وإن كانت الطفرة الاقتصادية قد أثرت على الجميع، فإن أبناء الجبال في الغالب يتسمون بالحيوية والحركة والحماس والصلابة والحدّة والصرامة. وعلى الرغم من أن مشهد الجبال الشاهقة في الجنوب يختلف كلياً عن مشهد الصحراء الجرداء في نجد، فإن هاتين البيئتين المتناقضتين تصنعان بعض السمات المشتركة في أهلها، وخصوصاً سمات الصلابة والصرامة والحدّة. البيئة الجبلية في المنطقة الجنوبية كانت تتميز عن الصحراء بأنها منطقة استقرار وكفاية اقتصادية، وذلك من خلال بيئتها الزراعية وطقسها المعتدل ومياهها الوفيرة في الماضي. هذه السمات قاربت الشبه بينها وبين بيئة الواحات التي كان يقطنها الحضر من أهل نجد (القصيم، الدرعية والخرج). فهي

أيضاً بيئات مستقرة كان أهلها يعتمدون على الزراعة.

قد يقال: لقد كانت الأحساء توفر بيئة استقرار ومجتمع زراعي، فلماذا لا تتشابه مع واحات نجد ؟!

هنا يأتي دور السمة الثانية التي تجمع بين نجد التاريخية والباحة وعسير التاريخيتان، وهي غياب التعددية الثقافية أو المذهبية.

ثانياً: غياب التعددية الثقافية أو المذهبية

واحات نجد تشكل بيئات زراعية منغلقة لا تسمح بالتعدد الثقافي، فهي بيئات توجد وسط الصحراء؛ وهي من هذه الناحية تشابه بيئة المنطقة الجبلية من الجنوب التي تعتمد على الزراعة، بينما جعلتها الجبال الشاهقة ضمن بيئة شبه منغلقة لا تسمح أيضاً بالتعدد الثقافي.

لننظر من هذه الزاوية إلى الاختلافات بين المنطقة الجبلية الممتدة من الطائف إلى نجران وبين المنطقة الجبلية في نجران ثم المنطقة الجبلية في فيفا. فمن الطائف إلى ما قبل نجران لا يوجد تعددية مذهبية أو اجتماعية، بينما توجد تعددية مذهبية في نجران نتيجة وجود الشيعة ـ فضلاً عن الوجود اليهودي المحدود والذي استمر إلى حين قيام إسرائيل ـ وازدواجية اجتماعية وثقافية (سعودية يمنية) تطبع في الغالب ساكني المناطق الحدودية في كل مكان.

وهذه الازدواجية الاجتماعية والثقافية موجودة أيضاً في فيفا ـ وفي جازان الساحلية ـ وذلك بحكم الوجود الجغرافي بين بيئتين ونظامين سياسيين واجتماعيين وثقافيين مختلفين.

وهكذا فإن البيئة الجبلية غير المحاذية للحدود السعودية اليمنية (الجزء الجبلي من منطقة الباحة والجزء الجبلي من منطقة عسير) تتميز عن غيرها من المناطق الجبلية في الجنوب ذاته بأنها ليست منطقة تعددية مذهبية أو ازدواج اجتماعي أو ثقافي كالذي تتسم به نجران أو فيفا.

لقد ظلت تلك المنطقة منطقة وحدة ثقافية واجتماعية، ولم تخضع على الإطلاق للنفوذ السياسي المباشر للحجاز أو اليمن، ولم توجد بها تيارات دينية مختلفة كالتيار الصوفي، وأسهمت بيئتها الزراعية في الماضي في استقرار أهلها واكتسابهم لسمات أهل المجتمعات الزراعية، كما أسهمت جبالها الشاهقة في عزلتها النسبية وحفاظها على استقلاليتها الثقافية والاجتماعية واتسام أهلها بالصلابة والحدّة والصرامة.

أي أن ساكني المنطقة الجبلية الممتدة من جنوبي الطائف إلى شمالي نجران يجمعون بين بعض سمات أهل البادية وبعض سمات أهل الواحات النجدية المعزولة والمحاطة بالصحراء. فمن ناحية هم أشداء متحمسون محاربون كأهل الصحراء، فهم تصقلهم بيئة الجبال الوعرة والشاهقة مثلما تصقل الصحراء الجرداء أهل البادية. ومن ناحية أخرى هم كأهل الواحات في منطقة نجد أهل استقرار وأهل كفاية إنتاجية وقبول للتعليم والانتظام وبعد عن أعمال النهب والسلب.

ومثلما أسهمت الصحراء في ترسيخ العزلة النسبية لواحات نجد ضمن بيئات زراعية شبه مكتفية اقتصادياً وغير متعددة ثقافياً أو اجتماعياً، فإن الجبال الشاهقة أسهمت أيضاً في ترسيخ العزلة النسبية لساكني المناطق الجبلية ضمن بيئات زراعية مستقرة وشبه مكتفية اقتصادياً وغير متعددة ثقافياً أو اجتماعياً.

هذه البيئة الجبلية البسيطة ثقافياً والقاسية جغرافياً كانت مهيأة للامتلاء بدعوة تنسجم مع بساطتها الثقافية وصرامتها وشدتها الفردية والاجتماعية، وهذا هو ما يفسر كيف أصبحت الأجزاء الجبلية في منطقة الباحة ومنطقة عسير تنافس الواحات النجدية في تبني مدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وإنتاج منظريها وجنودها!

هذا الوضع لا يمكن أن يحدث في منطقة الحجاز، فهي منطقة مملوءة ومتعددة ثقافياً ومذهبياً منذ القدم وليس لدى أهلها تلك الصرامة والصلابة والطيف الاجتماعي الوحيد. وبالمثل فإن المنطقة الشرقية هي منطقة تعددية مذهبية (السنة والشيعة) وثقافية (السنة والشيعة، أرامكو ومجتمعها، التماس الحدودي مع بيئات أخرى). المنطقة الشمالية هي أيضاً منطقة تماس حدودي يوجد قدر من الازدواجية الاجتماعية والثقافية، وهو ذات الشيء المتحقق في جازان ونجران، وإن كانت الأخيرة تتسم أيضاً بالتعددية المذهبية.

البيئة الوعرة والانغلاق التاريخي وغياب التعددية الثقافية والمذهبية تتحقق أيضاً في منطقة القبائل بجنوب أفغانستان وشمال باكستان التي شهدت منذ أوائل الثمانينات الميلادية أكبر عملية إحياء وعولمة فكر مدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وذلك في أوائل مرحلة الجهاد الافغاني ضد الاحتلال السوفياتي.

عن منتدى الوسطية

http://www.wasatyah.com/vb/showthread.php?t=21972

اليوم الوطني، وسلة مهملات الفتاوى

تحتفل السعودية هذا العام شعبياً لأول مرة في تاريخها باليوم الوطني (وليس العيد الوطني) حيث لا أعياد غير العيدين المعروفين لدى المسلمين.

الوهابيون يرفضون الإحتفال لأنه شرك بالله، ولم تستطع الحكومة ان تقنعهم طيلة هذه السنين بغير ذلك! في حين أنها أقنعتهم وفرضت عليهم ما هو أدهى وأمر: استقدام القوات الأجنبية! وما يسمونه البنوك الربوية! وفساد الإعلام، والصمت على النهب والسرقات والممارسات اللاأخلاقية للأمراء، وغير ذلك!

أجابت هيئة الإفتاء عن سؤال حول الاحتفال بعيد المولد وعيد الأم والعيد الوطني فقالت بأن فيها تشبه بأهل الجاهلية أو نحوهم من طوائف الكفار فهو بدعة محدثة ممنوعة وفيها عبادة لم يأذن بها الله!

وأجاب الشيخ ابن باز عن ذات الموضوع بأن الاحتفال بالموالد وذكرى استقلال البلاد أو الاعتلاء على عرش الملك وأشباه ذلك من المحدثات التي قلد فيها كثير من المسلمين غيرهم من أعداء الله وغفلوا عما جاء به الشرع المطهر من التحذير من ذلك والنهي عنه.

وقال الشيخ صالح الفوزان: من الأمور التي يجري تقليد الكفار فيها: تقليدهم في الأعياد الشركية والبدعية كأعياد الموالد عند مولد الرسول وأعياد موالد الرؤساء والملوك، وقد تسمى هذه الأعياد البدعية أو الشركية بالأيام أو الأسابيع – كاليوم الوطني للبلاد، ويوم الأم وأسبوع النظافة – وغير ذلك من الأعياد اليومية والأسبوعية، وكلها وافدة على المسلمين من الكفار.

وأجاب المفتي السابق محمد بن ابراهيم عن سؤال حول اليوم أو العيد الوطني فقال: إن تخصيص يوم من أيام السنة بخصيصة دون غيره من الأيام يكون به ذلك اليوم عيداً، علاوة على ذلك أنه بدعة في نفسه ومحرم وشرع دين لم يأذن به الله، أنه مشابهة للكفار من أهل الكتاب وغيرهم في إحداث أعياد لم تكن مشروعة أصلاً، وتحريم ذلك معلوم بالبراهين والأدلة القاطعة من الكتاب والسنة، وليس تحريم ذلك من باب التحريم المجرد، بل هو من باب تحريم البدع في الدين، وهو أغلظ وأفظع من المحرمات الشهوانية ونحوها.

لم تكن الدولة مهتمة بالحس والهوية والرابطة الوطنية قبل هذا الوقت، فتنازلت للمشايخ. أما الآن وبعد أن شعرت بأن الأرض تهتز تحت أقدامها، ضربت رأي مشايخها عرض الحائط كما كانت تفعل. فهي تريد فتاوى على المقاس، وما يخرج عن المقاس المطلوب يرمى في الزبالة!

نور الحق يسري ويشرق

د . ربيع بن صادق دحلان

تعليقاً على ما نشره الصحفي السيد محمد بن علي الجفري بجريدة عكاظ عدد ١٤١٦٦ يوم الخميس ١٤٢٦/٥/٢هـ بعنوان (محاضرة أبو سليمان تشعل الاختلافات في أدبي مكة) حيث كانت محاضرة فضيلة العلامة الأستاذ الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان بعنوان: (رحلات علماء مكة العالمية وآثارها في الأقطار الإسلامية).

أقول مستعيناً بالله تعالى: دفعني واجبان لتحريك قلمي:

الأول: واجب الشكر لفضيلة العلامة الجليل الأستاذ الدكتور عبدالوهاب ابو سليمان أثابه الله على ذكره محاسن جدي الحافظ العالم الفقيه الرحالة المدرس بالمسجد الحرام السيد عبدالله بن صدقة بن زيني دحلان في محاضرته تلك.

والثاني: واجب الذود عن حرمات العلماء، ودفع اي عدوان يتعرضون له ممن يجهل دورهم ومكانتهم في مجتمعهم وفي التاريخ الفكري لعصرهم، ويكبر حجم العدوان عندما نقرأ كلاماً ـ مثل الذي أثير في محاضرة العلامة الدكتور ـ عبدالوهاب أبو سليمان ـ عن عالم له مكانته المحترمة وصيته الناصع وسمعته البراقة هو المغفور له ـ العلامة أحمد زيني دحلان.

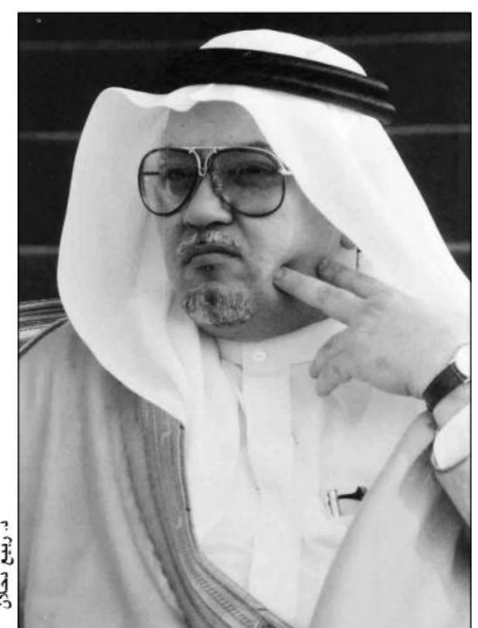
إن مما يحز في النفس أن نرى في مجتمعنا العربي والإسلامي، بعض الأكاديميين، من لا يتورع عن الخوض في لحوم العلماء، واختلاق النقائص عنهم، بل ورميهم بما يثير الشك حول عقيدتهم، بالجهل والهوى وقلب الحقائق، متجاهلين حرمة المسلم الميت من العلماء، وحرمتهم من اكبر الحرمات، ومن اوجب الواجبات صونها في حياتهم وبعد مماتهم، فقد روى ابن حبان والترمذي بإسناد حسن ان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما نظر يوماً إلى الكعبة فقال: (ما أعظمك وأعظم حرمتك! والمؤمن أعظم حرمة منك).

وقبل أن أسهم في هذا الواجب: أود أن أقدم للقراء نبذة مختصرة عن حياة جدي العلامة السيد عبدالله بن صدقة دحلان رحمه الله، كما ورد عنه في كتب السير والتراجم، ومنها كتاب سير وتراجم علماء من القرن الرابع عشر للهجرة للأستاذ عمر عبدالجبار رحمه الله، سلسلة الكتاب العربي السعودي ٦٧ من إصدارات شركة تهامة، وكتاب نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر تراجم القرن الثاني والثالث عشر، للأستاذ أحمد بن محمد الهاشمي، منشورات وزارة الثقافة السورية، وكتاب مختصر في زبدة السيرة النبوية، فقد كتب عنه رحمه الله ما نصه الآتي:

كانت ولادة السيد عبدالله دحلان رحمه الله:

ولد ونشأ بمكة المكرمة عام ١٢٩١هـ في عصر الأمير الشريف عبدالله بن محمد بن عون رحمه الله، وكانت بين الشريف محمد بن عون رحمه الله وجده السيد زيني دحلان ـ رحمه الله ـ صلات قوية ومحبة وثيقة مما جعله يأمر أبناءه بأخذ العلم عن مفتي الحجاز آنذاك العلامة الشهير السيد أحمد بن زيني دحلان رحمه الله.

يتصل نسب والديه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيت الدحلان من أكرم بيوت الحجاز علماً وفضلاً ونسباً، بيت أضاف إلى تاريخ أهله وأمته الكثير من الأخلاق الفاضلة، من تواضع ورأفة ورحمة وجهاد وكفاح ووفاء وسماحة في المعاملة وحمل للمودة والسمعة الطيبة، وقد تحدث عنهم كثير من العلماء المؤرخين، وبينوا فضلهم وجهودهم في خدمة الدين والعلم وأهله، وقد اشتهر منهم إمام الحرمين ومفتي الشافعية بمكة المكرمة وشيخ علماء الحجاز في عصره العلامة الفقيه الحافظ السيد الجليل أحمد بن زيني دحلان الحسني الهاشمي القرشي المكي رحمه الله، صاحب النصائح الإيمانية للأمة المحمدية، وطبقات العلماء والفتوحات الإسلامية بعد الفتوحات النبوية، والسيرة النبوية، والفتح المبين في سيرة الخلفاء الراشدين، وتاريخ الأندلس، وخلاصة الكلام في تاريخ امراء بلد الله الحرام، وتيسير الأصول لتسهيل الوصول، وفضائل العلم، ومنهل العطشان على فتح الرحمن، والدرر السنية. وبيان المقامات


د. ربيع دحلان

وكيفية السلوك، والأنوار السنية بفضائل ذرية خير البرية، وتاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية.

وقد تلقى السيد عبدالله دحلان رحمه الله تربيته في حجر عمه العلامة السيد أحمد بن زيني دحلان - رحمه الله - لموت والده وهو في السادسة من عمره، ولازمه حتى وفاته رحمه الله سنة ١٣٠٤هـ بالمدينة المنورة، وقد أحاطه عمه برعاية خاصة ورباه تربية إسلامية بحتة، وغذى روحه بالإرشاد والتوجيه والتمسك بالدين الحنيف وسنة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وذلك على يد علماء زمانه الثقات، وفي مقدمتهم خاله السيد أبو بكر شطا - رحمه الله - والعلامة العارف بالله السيد حسن بن محمد الحبشي، ولم يكتف السيد عبدالله رحمه الله بذلك، بل اندفع مع طموحاته العلمية إلى التعمق في علم الفلك على يد أستاذه الشيخ محمد حسين خياط.

وبعد ان نال شهادة التدريس عين اماماً بالمسجد الحرام وانفرد بالإمامة والتدريس في حلقة باب السلام بالحرم حيث اكتظت بشباب مكة المكرمة ومن أبرزهم السيد صالح شطا الذي تلقى على يده علمي الأدب والفلك، وعبدالرؤوف الصبان، فلفتت مهاراته العلمية ونشاطه المتواصل نظر الولاة فعينوه مفتشاً عاماً على الدوائر الحكومية، إضافة إلى الإمامة في مقام إبراهيم، والتدريس بالحرم، كما عين أيضاً رئيساً لعين زبيدة التي تأسست إدارتها في عهد الوالي التركي عثمان باشا النوري وأطلق عليها اسم كمسيون عين زبيدة، واشرف على إعادة اعمارها بنفسه، وقد كان جسوراً عزوماً صلباً صريحاً لا تأخذه في الحق لومة لائم، يجابه الولاة بما يراه صواباً دون أن يتردد.

وقد دفعته همته العالية ونفسه الأبية إلى الترحال لنفع المسلمين شأن أسلافه العظام، فتوجه في سنة ١٣١٦هـ إلى زنجبار بعد ان مر بعدن ولحج واجتمع بسلطانها، وكان موضع الإجلال والتكريم وعاد إلى مكة المكرمة بعد ثلاثة أشهر، وفي عام ١٣١٨هـ سافر إلى دول شرق آسيا وأقام بها سنة وخمسة أشهر درس فيها أحوال البلاد ورجع إلى مكة حاملاً بين جنبيه آمالاً وآلاماً لما رآه من حالة المسلمين وأسس أول مدرسة في الحجاز على الطراز الحديث في باب الزيادة وذلك في سنة ١٣٢٣هـ وفي سنة ١٣٢٧هـ، ثم توجه بعد ذلك إلى دول شرق آسيا مرة أخرى إجابة لطلب أبناء تلك البلاد وإلحاحهم فأسس (جمعية خير) ومدرستها لا تزال قائمة إلى الآن، وفي أواخر عام ١٣٣٠ هـ عاد إلى مكة المكرمة لزيارة أهله وأقام شهوراً يدعو للعلم والإصلاح مما أزعج الشريف حسين، فأبعده إلى - كلاخ - وهي قرية بدوية يسكنها بعض من قبيلة عتيبة بشرق الطائف، وفيها جمع السيد عبدالله شباب القرية وأخذ يدرسهم امور دينهم توطئة لإنشاء مدرسة بها، فلما علم الشريف حسين بن علي بذلك خشي عاقبة التعليم فاستدعاه إليه في الطائف وطلب منه مغادرة الحجاز.

ثم سافر إلى المدينة المنورة لزيارة الرسول الكريم ويمّم شطر الشام وزار مصر واجتمع بشيخ الأزهر العلامة الأستاذ الشيخ سليم البشري، وأدخل جملة من مسلمي شرق آسيا المقيمين بمصر في القسم النظامي للأزهر وذلك في سنة ١٣٣١هـ، وبعدها سافر إلى كلمبو وسيلان

خطأ المداخلة الأساسي كان في انزلاقها عن المنهجية العلمية، وخروجها عن حد الاتزان والاعتدال، وإغراقه في الجدل العقيم

وأسس بها عدة مدارس إسلامية ثم أخذ ينتقل من بلدة إلى أخرى داعياً إلى الله مؤسساً المدارس الدينية، ولما هاجم الإيطاليون طرابلس الغرب أسس لجاناً كثيرة لجمع الأموال والإعانات، فجمعت وأرسلت عن طريق الأمير عمر طوسون باشا، ثم عين شيخاً للإسلام في ماليزيا، غير أن نفسه الكبيرة لم ترغب في ذلك وفضلت القيام بإنشاء المدارس، وانتقل إلى.. فينانغ - وأسس بها مدرسة ثم إلى - ملاة - وأسس بها أيضا مدرسة، وفي سنة ١٣٣٦هـ سافر إلى الهند فالعراق، وفي طريق عودته عرج على البحرين فأسس بها مدرسة جمع لها من الأموال نحو مائتي ألف روبية، وبنى لها عمارة لا تزال قائمة إلى الآن، تخرج منها كثير من شباب العرب، ويعتبره علماء ومؤرخو البحرين


شيخ الأزهر سليم البشري

رائداً من رواد التعليم العام بالبحرين، ثم عاد إلى دول شرق آسيا وأقام بها في سنة ١٣٤٦هـ واشتغل فيها بإصلاح المدارس التي انتشرت في تلك الأصقاع، وأعان على تأسيس مدارس أخرى منها مدرسة آل باجنيد الكائنة بسنغافورة، ووضع لها نظاماً وافياً، وعمّر مساجد عديدة، وفي نفس العام سافر إلى الحبشة وزار صنعاء اليمن، واجتمع بالإمام يحيى حميد الدين وأكرمه غاية الإكرام، وكان موضع الإجلال، والاحترام من أهل الفضل والعلم حيثما حل، ثم عاد إلى مكة المكرمة وأقام بها سبعة أشهر، وسافر إلى مصر وأدخل ابنه في إحدى مدارسها، وقفل راجعاً إلى الحجاز فمكث بمكة بضعة أشهر والتقى جلالة الملك عبدالعزيز. رحمه الله - رحب به وأكرمه، ثم سافر إلى شرق آسيا وعكف هناك على التأليف والنشر، ونشط في التعليم وكان يلقي دروسه في زوار بيته. وكان منزله دار ضيافة لمن يعرفه ومن لا يعرفه. حيث يقابل ضيوفه بما عرف عنه من دماثة خلق وابتسامة وبشاشة. له رحمه الله عدة مؤلفات راعى في وضعها مقتضيات الأحوال آنذاك، وما تدعو إليه حاجة البلاد التي يحل بها جاعلاً نصب عينيه مبدأ الوحدة الإسلامية والجهد لإعلاء كلمة الله وقد طبع من مؤلفاته:

* إرشاد ذي الأحكام إلى واجب القضاة والحكام.
* زبدة السيرة النبوية (في ثلاثة أجزاء).
* تحفة الطلاب في قواعد الإعراب.
* خلاصة الترياق من سموم الشقاق.
* مفتاح القراءة والكتابة ودليله.
* إرشاد الغافل إلى ما في الطريقة

التيجانية من الباطل.

* فتوى في إبطال طريقة وحدة الوجود.

توفي رحمه الله في عام ١٣٦٠هـ في شرق آسيا وهو يدعو ويجاهد في سبيل إعلاء كلمة الله، وله من الذرية العديد من البنين والبنات منهم السيد أحمد بن عبدالله دحلان مدرس الفلك بالمدرسة الصولتية رحمه الله، والسيد صادق بن عبدالله دحلان الذي التحق بالخدمة العامة في العهد السعودي من عام ١٣٥٣هـ وتدرج في وظائف مجلس الشورى عضواً ثم نائباً لرئيس المجلس حتى نهاية عام ١٤١٣هـ بعد هذه النبذة العطرة من حياة جدي رحمه الله أقول للأستاذ الجامعي الذي حمل على جدي رحمه الله في مداخلته (كما جاء في الخبر)، ان خطأ المداخلة الأساسي كان في انزلاقها عن المنهجية العلمية، وخروجها عن حد الاتزان والاعتدال، وإغراقها في الجدل العقيم، وتحويلها الاختلافات بين العلماء (وهو أمر طبيعي في نسق الفكر الإنساني والإسلامي) إلى مسائل اعتقادية، وهذا ما دأب عليه بعض أحاديي النظرة والفكر في بلادنا في الماضي والحاضر، عندما يتناولون تاريخ أهل بلاد الحرمين، فنجدهم يجنحون إلى التهويل والتعميم والاعتماد على روايات غير صحيحة، ونقل أقوال غير موثقة، والتغافل عن أخرى موثقة: يرغبون ويرهبون، يحذرون وينذرون، دون وجه لهذا إلا الجهل والهوى والفئوية والجهوية والعصبية الجاهلية.

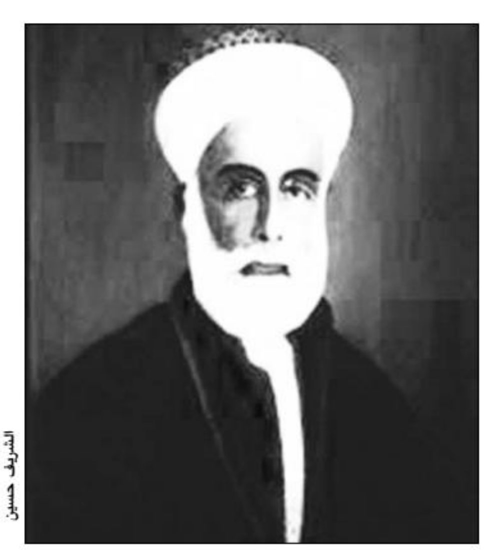
ومن المؤسف أننا نجد اليوم تلك العدوى (أحادية النظرة والفكر) قد لاقحت فكر بعض الأكاديميين فأصبحوا يجهلون أو يتجاهلون ابسط قواعد المنهجية العلمية التي تحفظ حقوق الأحياء والأموات من الناس، فنجدهم يخوضون في الأمور دون علم كاف أو دراية أو تجرد أو إنصاف، متجاهلين أن بدون الهدى لا يعرف الحق، ولا يقصد الخير، ولا يعمل به، فيتلبسون الحق بالباطل، وهنا تكون الشبهات، وتنتشر الفتن، ولا احسب أحداً ينقب عن عثرات العلماء الأحياء أو الأموات، ويبحث لهم عن زلات مبنية على الشبه الواهية، إلا من رخص عليه دينه، ووقع في الغلو، وحاد عن الجادة، وكان من محترفي الطعن وسوء الظن لا يقدر على الفصل بين كليات العقيدة وفروع الدين، ولا يتحرر من عصبيته الجاهلية ،ولهذا تكون ردود أفعاله (التي أصبح التخلي عنها ضرورة شرعية ومنهجية علمية في الاختلافات) دافعاً له على ارتكاب أخطاء علمية فادحة بدافع الجدل والمراء، متجاهلاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء).

لمثل هؤلاء لا نملك إلا أن ندعو لهم بالهداية، وننصحهم بأن لا يجتهدوا في صياغة وابتداع خلافات اعتقاديه، لمجرد ردة أفعال مغالية لا يمكن أن تُبنى عليها مفاصلة في المعتقد.

كما ننصحهم بالابتعاد عن التسطيح، والتشكيك، والتجريح، والنظرة الأحادية المشوهة للحقائق، والتعميم في الأحكام، ويجب عليهم النظر في الأمور بشمولية ليتضح لهم تعقيداتها وتشابكها، فلا تقتصر أحكامهم على جانب الشبهة التي يفسر بها كل شيء، ومن ثم يغالون في التكلف والتأول لتسويغ غير المستساغ، وتبرير ما لا مبرر له، فيشعلون الفتنة بأقوال تخيلية يتهمون بها الأحياء والأموات من أهل هذه البلاد الطاهرة، وهو فعل في غاية القبح، وفيه فساد للرأي، ورقة في الدين.

دأب بعض أحاديي النظرة والفكر في بلادنا في تناول تاريخ أهل بلاد الحرمين، بالتهويل والتعميم بدافع من الجهل والهوى والفئوية والجهوية

ومن تحركت نفسه للطعن في علمائنا فليس بغريب منه ان يحركه جهله في ثلب آخرين وآخرين، ولهذا نكرر باستمرار عن حاجتنا لعلماء وباحثين مستنيرين من أمثال العلامة الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان - ممن ينفضون غبار النسيان عن آثار الحرمين الشريفين بجهد الباحث المتمكن، ويوثقونها للدارسين والقراء من عامة المسلمين بمنهج العالم المتيقن، ويجلون صورة علمائنا المشرقة ممن اسهموا حسب ظروف زمانهم في صياغة ثقافة عصرهم، وإنارة الطريق لأبنائهم عن طريق أساليب التعليم المتاحة.


الشريف حسين

نحن لسنا بحاجة إلى الهدامين الذين يحملون معاول الهدم لتحطيم كل رمز مشرق في تاريخ هذا البلد، وخاصة جدي وأمثاله رحمه الله الذين قاموا في زمانهم بجهود لا تقوم بها إلا الدول، وتركوا بصماتهم حية وناطقة في أعماق العالم الإسلامي.

لسنا بحاجة للأكاديمي الذي يسعى لهدم التراث الفكري لحقبة من حلقات تاريخ الأمة، أو يشغل الباحثين بتتبع العورات ويغمض عينه عن المحاسن لغاية في نفسه لا علاقة لها بمنهج البحث الصحيح، الذي يفترض ـ أول ما يفترض ـ التجرد والحياد والموضوعية.

بارك الله في محاضرات وأبحاث ومؤلفات العلامة الأستاذ الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان وأمثاله من علمائنا وباحثينا، ونسأل الله الهداية للأكاديمي الذي شغل نفسه بتشويه صورة جدي رحمه الله وهو رهين قبره لا تتاح له فرصة الدفاع عن نفسه، وعزاؤنا أن نقداً مثل نقد هذا الأكاديمي لم يعد يجد صدى ولا قبولاً بين عامة العلماء، وغالبية المتعلمين، فالحمد لله على ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

جريدة المدينة. ١ـ ٢٠٠٥/٩/٢

حُكْم القانون

حكم القانون (rule of law The) من المصطلحات الشائعة والمتداولة في الصحافة ووسائل الاعلام، وربما جرى استعماله في أحيان كثيرة مفصولاً عن سياقه التاريخي ومضمونه العلمي. لقد سمعنا في الآونة الاخيرة من مستشار الملك عبد الله عن هذا المصطلح كأحد ملامح الحقبة الراهنة، الامر الذي يفرض نوعاً من المقاربة لمهفوم حكم القانون من أجل وضعه في إطاره العلمي الدقيق.

هناك معان عدة أعطيت لعبارة حكم القانون، وقد فُهمت أحياناً على أنها الخلاصة الحقيقية للمبادىء الاساسية للقانون البريطاني وفي أحيان أخرى على أنها بيان المثال الذي تم تجسيده جزئياً في الممارسات الدستورية الحقيقية. وقد استعمل أيه. في. ديسي مصطلح حكم القانون في كتابه (قانون الدستور The Law of Constitution) والذي حدد فيه ثلاث مبادىء أساسية، والتي رأى أنها مرغوبة وفي ذات الوقت من وجهة نظره أنها قد تؤسس للدستور البريطاني. وهذه المبادىء تقتضي: أولاً، أن الواجبات القانونية للمواطن وقابليته للعقوبة يجب أن تحدد من قبل القانون العادي (أُفْ فُهمْ) وليس من قبل أمر عشوائي من قبل الرسميين أو ممارسة السلطات الاجتهادية الواسعة. ثانياً: أن الخلافات او النزاعات بين مواطن ما ومسؤول رسمي يجب أن تخضع لاجتهاد المحاكم العادية. ثالثاً أن الحقوق الاساسية للمواطن لا يجب أن تتوقف على ضمانات خاصة من الدستور بل من القانون الاعتيادي.

إن الروايات المعاصرة لحكم القانون تشدد على أهمية مبدئين أساسيين: الاول أن ممارسة السلطات الاجتهادية لصناعة القانون والحكم او المحاكمة يجب أن تكون تحت سيطرة محاكم نزيهة في ضوء مبادىء عامة واضحة ومنصوصة صُممت لضمان أن السلطة يجب أن تتم مزاولتها بصورة عادلة ضمن حدود يوصّفها القانون، وثانياً: يجب، وبالمساحة الممكنة التي يتمسرح عليها القانون وبصورة خاصة القانون الجنائي، توفير دليل إرشادي واضح للمواطن فيما يتصل بحقوقه وواجباته، وأنه يكون عرضة للعقوبة في حال مخالفة القانون فحسب إن كانت له القابلية وأن لديه الفرصة العادلة للتوفيق بين سلوكه مع ذلك الوضع.

إن القانون نابع من الناحية المنطقية من قيمة عليا منحت له من قبل البشر الذين يعيشون ضمن مجتمعات. فبدون القوانين

القوانين نفسها قد لا تكون عادلة حين يضعها ديكتاتور للمحافظة على سلطته لإخضاع السكان من قبل جماعة ما للهيمنة على البقية

فلن يكون هناك أساس للعيش المشترك بصورة سلمية، كما لن يكون هناك أساس للتقدم المنظم. ومن الضروري هنا تذكير أنفسنا بدور الدستور، الذي هو منظومة مبادىء أولية التي على ضوئها يقرر المجتمع كيف يجب أن يسير. وتتعلق هذه المبادىء بكيفة إنجاز وتحقيق الوظائف الحكومية، ومن يجب عليه تحقيقها، وحدود سلطاتهم وصلاحياتهم وماهي الحقوق الاساسية التي يجب أن تعطى للمواطن. إن كافة القوانين التشريعية في المملكة المتحدة على سبيل المثال تُسنّ من قبل سلطة تشريعية دستورية، أي البرلمان.

ويمكن النظر الى القانون على أنه يلعب دوراً مزدوجاً: الاول، تمكين أولئك الذين يديرون الحكم للابقاء على سيطرتهم وإحداث التغييرات التي يعتبرونها ذات فائدة، وثانياً حماية المواطنين بصورة أفرادية أو في مجموعات عن طريق رسم العلاقات القانونية بين المواطن والمواطن من جهة والمواطن والحكومة من جهة ثانية. إن التشدد على جانب واحد أو أكثر من دور القانون يتباين في إطار التجربة التاريخية أو في بلد محدد أو حتى من دولة لأخرى. إن صناعة القانون في بعض البلدان هي إمتياز خاص بالطبقة الحاكمة التي تصنع القوانين لخدمة مصالحها الخاصة بعيداً عن بقية الشعب. كانت هذه حالة بريطانيا حتى قانون الاصلاح العظيم (Great Reform Act) الصادر عام ١٨٣٢. إن الديمقراطية الليبرالية تناضل من أجل إحداث توازن بين حاجة الحكومة للحفاظ على سيطرتها فيما تطبّق برنامج تغيير وتغطية حاجات الناس المعيشية من أجل حماية الحقوق الدستورية المنصوص عليها لكافة المواطنين. ومن الضروري هنا إجراء تفريق بين القوانين والاعراف او التقاليد. فالاخيرة هي عبارة عن قوانين غير رسمية تنشأ خلال مرحلة تطور أي نظام سياسي. وهناك أنماط من السلوك يتم تجريبها واختبارها عبر الزمن، وتوفّر طرق مقبولة لتحقيق الاهداف. وهي عبارة عن مادة الزيت التي تبقي على الماكينة السياسية سهلة الحركة أو زلقة. وعلى عكس الحال مع القانون، فإن العرف لا يشترط او يتطلب عقوبة قانونية في حال مخالفته، رغم انه قد تكون هناك عقوبات سياسية واجتماعية. مع الفات الانتباه الى حقيقة أن كثيراً من المواقع والمؤسسات الرسمية هي مخلّقات عرفية، أي ان العرف هو الذي سمح بنشأتها.

إن مبدأ حكم القانون إشتهر في الاضبارات التشريعية البريطانية والاميركية ولكن أوج توهجه في النظرية السياسية يبدأ من الناحية التاريخية مع اطروحة أيه. في. ديسي (A.V.Dicey) بعنوان (مقدمة الى دراسة قانون الدستور of the Law of the Constitution)

(Introduction to the Study) الصادر عام ١٨٨٥. ومن الناحية التاريخية أيضاً، فإن الفكرة الاساسية كانت أن الملك والرعايا على السواء يخضعون تحت حكم الله وحكم القانون، أي حكم السماء أو قانون الطبيعة وثانياً، أي منذ القرن السادس عشر الميلادي، القانون العام المشترك.

وقد كتب هنري دي براكتون (توفي سنة ١٢٦٨) أن الملك يجب ألا يكون تحت سلطة أي رجل، ولكن تحت حكم الخالق وحكم القانون. أما ديسي (١٨٣٥ ـ ١٩٢٢) فشدد على ثلاث خصائص لحكم القانون وهي:

أولاً: أن القانون يطبِّق بالتساوي على كافة الافراد في المجتمع، وليس هناك أحد فوق القانون.

ثانياً: لا أحد يخضع للعقوبة الا في حال وجود مخالفة صريحة ومؤكدة للقانون محددة من قبل المحاكم.

ثالثاً: أن المحاكم مستقلة وغير خاضعة للتدخل أو التحكم السياسي في صناعة قراراتها.

وهنا يجدر الالتفات الى أن حكم القانون، كما هو مشخَّص بهذا النحو، يتطلب فصلاً بين السلطات الى الحد الذي بدون عملية الفصل لا يكون هناك قضاء مستقل. لا ريب أن كفاءة اطروحة ديسي تتناسب مع الممارسة البريطانية في القرن التاسع عشر، ولذلك فقد ظلت تثير الاطروحة مجادلات وأسئلة بصورة مستمرة لجهة تطويرها وكشف الابعاد الاخرى التي يتطلبها حكم القانون. الجدير أكثر بالملاحظة أن لهذه الطروحة خلفيتين: الاولى، هي رغبته في تفادي أي إنقسام في القانون، فهو لم يرد أن يتعامل فرع من فروع التشريع مع العلاقات بين المواطنين والدولة، وهذا الفرع المتميز يعرِّفه ديسي بالنظام التشريعي الفرنسي.

الخلفية الثانية هي تقليد القانون العام، وهذا يتعلق بالنظرة حول صناعة القانون والتي تبدو بدرجة كبيرة متأخرة في أوروبا وأميركا أواخر القرن العشرين. إنها فكرة قروسطية حيث ان القانون يتطور بصورة رئيسية عبر الاستعمال العرفي والقرار القضائي، إنه، بصورة رئيسية، نتاج السلطة التشريعية، دع عنك (الأمر السيادي). فالقانون هو بصورة مهيمنة قانون عرفي.

وعليه فماذا تحمل الخلفية الاخرى لفكرة القانون بوصفها منتجاً أساسياً للعرف والقرار القضائي؟

وكما تمت الاشارة اليه، فإن ذلك يبدو معزولاً من واقع سياسة أواخر القرن العشرين. ولكن هناك طريقة لتطوير مبدأ حكم القانون والذي لا يرتطم بالحقيقة السياسية غير العاقلة. وبالنظر الى الاهمية التي يمنحها إف. أيه. حايك (١٨٩٩ ـ ١٩٩٢) حول خاصية القانون، وحول الخصائص الشكلية التي يجسِّدها القانون، فإن حايك يحدد ثلاث خصائص رئيسية للقانون وهي:

ـ عام ومجرد

ـ معلوم ومحدد

ـ يحترم المساواة بين الافراد

إن هذه الخصائص بحاجة الى شرح. فالعمومية والتجرّدية تعني أن القانون يجب أن ينظر الى الامام، صوب المستقبل، في حالات غير معروفة ويجب إهمال ذكر

الاستقلال القضائي يمثل نواة حكم القانون من أجل إعطاء الثقة للمواطنين بأن القوانين ستطبق بصورة عادلة ونزيهة

أشخاص ومواقع وموضوعات محددة. بالنسبة لخاصية كون القانون (معلوماً ومحدداً)، فإن الاجراءات القضائية التي يتم عبرها تفسير القانون وتطبيقها يجب أن تكون قادرة على التخمين والتنبوء. أما كون القانون يتسم باحترام المساوة بين الافراد، فهذا يتطلب بصورة رئيسية أنه حين يميِّز القانون مجموعة من الناس، فهؤلاء الذين هم داخل المجموعة يجب أن يعترفوا بشرعية التمايز بنفس القدر إزاء من هم خارجها، كما يقول الحايك، أي أن يكون الجميع على حد سواء أمام القانون. إن مخرجات حكم القانون ليست شيئاً آخر غير العدالة والحرية. وقد جعل حايك هذه النقطة جليّة في الفقرة التالية:

(يقال أحياناً بأنه، بالاضافة الى كونه عاماً ومساوياً، فإن قانون حكم القانون يجب أن يكون عادلاً أيضاً. ولكن بالرغم من أنه قد لا يكون هناك شك بأنه، من أجل أن يكون مؤثراً، يجب أن يحظى بالقبول به كونه عادلاً من قبل معظم الناس، فإن من المشكوك فيه إن كنا نمتلك أي معيار آخر للعدالة أكثر من العمومية والمساواة... حتى الآن ومن منظور تطابقه مع عهد الحرية، ليس لدينا أي إختبار للقانون الذي يقيِّد نفسه لتنظيم العلاقات بين مختلف الاشخاص ولا يتدخل في الشؤون الخاصة للفرد، أكثر من عموميته ومساواته).

يلزم هنا تحليل مفاهيم العدالة والحرية، ولذلك يجب علينا المضي في طريق أولي. لنأخذ الحرية أولاً: يفرض حايك في القوانين أن تكون: أولاً، مجردة وعامة، وثانياً لا تتدخل في الشؤون الخاصة للافراد. إن الشرط الثاني، الذي لا تتطلبه الخصائص الثلاثة للقانون الواردة سلفاً، يتدخل لحجب المصادقة. إن القانون العام والمجرد قد يخقِّض عموماً الحرية الدينية. ومن هنا فإن القانون لا يجب أن يذكر أشخاصاً أو أمكنة أو موضوعات محددة وأن يكون موجهاً للامام، أي المسقبل. لقد توصل حايك الى هذه النقطة ولكنه علَّق، مستعرضاً هذا النوع من الحالة، في مكان آخر (الحقيقة ببساطة هي أن هذه القوانين تحدد المعاملة تجاه الآخرين). إنها ـ أي القوانين ـ تتدخل في الشؤون الخاصة، وتقتحم المجال المحمي للأفراد، المحمي، بحسب الحايك، داخل النظرية السياسية.

إن المشكلة هي أن حايك لا يحدد كيف يمكن تقييد هذا المجال. فما هي طبيعة المعاملة تجاه الآخرين؟ فإذا مارست ديناً، وتأثرت أنت بذلك فإن معاملتي بالتأكيد ستؤثر فيك. فبأي معنى يكون الدين موصلاً باتجاهك؟ ستثار المسألة مرة ثانية حين نختبر مبدأ الحرية لجون ستوارت ميل، ولكن الاخير حاول، على الاقل، تحديد معيار الضرر الذي يصيب الآخرين من خلال تحديد المجال الخاص.

بالنسبة لحايك، فإنه قد أرشد، بصورة أفضل، الى التعامل مع القضية الدينية من خلال التأكيد على الخاصية الثالثة للقانون المرغوب، أي إحترامية المساواة الفردية، حيث يتم انتقاء هذا الشرط بالنسبة للتشريع التمييزي الذي لا يكون في الغالب مقبولاً بالنسبة لهؤلاء خارج المجموعة الخاصة.

فيما يرتبط بموضوعة العدالة فإن الأمر يكاد يكون مماثلاً، فإن القوانين المجرّدة والعامة قد تكون تمييزية بصورة واضحة ضد كافة الجماعات. إن القانون الذي يحرم كافة الاشخاص الذين تتراوح أعمارهم مابين ١٩ ـ ٥٩ سنة من الزواج يعتبر غير عادل، مع أنها تحقق إختبارات حايك في التجرّدية والعمومية. وعلى أية حال، فإن مبدأ احترام المساواة الفردية أمام القانون قد يتم التوسل به: فليس هناك سبب للاعتقاد بأن التشريع سيكون مقبولاً بالنسبة لأولئك من هم داخل المجموعة المحددة.

إن فكرة المقبولية تعود الى الاذهان حين نقوم باختبار نظرية راول حول العدالة، وهي نظرية تطمح في تأسيس العدالة على الشروط المحددة التي يتفق عليها المتعاقدون. إن عمومية الاسباب القانونية، قد نلحظ قبل مغادرة مناقشة حايك، هي مشكلة أخرى. وكما لاحظ أرسطو، فإن القوانين (غير قادرة على الحديث بدقة وذلك عائد الى صعوبة أي مبدأ عام يضم كافة الخصائص)، ونلحظ هذه النظرة لدى إفلاطون أيضاً. إن حكم القانون لن يكون كافياً تماماً لملء ظرفية الحياة الاجتماعية.

وفي الحديث عن مبدأ العدالة فإن من الاهمية بمكان التمييز بين خصائص مفهوم العدالة. إن الالتزام بالوضوح والنزاهة في صياغة القوانين وتطبيق هذه المعايير في تطبيق القوانين هي مجتمعة مميزات للنظام العادل. في بريطانيا على سبيل المثال، فإن أفكار العدل أخذت بالحسبان من قبل أولئك الذين يصنعون القوانين وأولئك الذين يقومون بتفسيرها. إن حكم القانون هو مبدأ في الدستور البريطاني الذي تم وضعه من أجل إقامة نظام قانوني عادل. وفي صميمية هذا المفهوم فكرة ليس فقط أن كل مواطن ملزم أو مقيّد بقوانين عادلة ومفتوحة مدعومة من قبل قضاة يتّسمون بالنزاهة، ولكن أيضاً أن العلاقة بين الحكومة وكل فرد يجب أن تدار بنفس الطريقة التي تدار بها العلاقة بين كل فراد بالآخر. وبهذه الطريقة فحسب يمكن حماية حقوق الافراد وتأكيدة في مقابل سوء استعمال السلطة الحكومية.

يبقى أن القوانين نفسها قد لا تكون عادلة أحياناً، فقد تكون موضوعة من قبل ديكتاتور للمحافظة على سلطته عن طريق إخضاع السكان من قبل جماعة ما للهيمنة على البقية، ويحدث ذلك حتى في الديمقراطيات الليبرالية. ومهما كان مصدرها، فإنها تبقى آثمة لمخالفة القانون بصورة اتوماتيكية بما يستوجب العقوبة. إن الاقرار بعقوبة مخالفة القانون هو رادع كافٍ لابقاء معظم الناس ملتزمين بالقانون معظم الاوقات.

في كثير من المجتمعات الديمقراطية يقتفي النظام التشريعي الافكار التي تسود هذه المجتمعات وطبيعة الخطأ والصواب. فمثل هذه الافكار هي في الغالب متجذرة في الدين، والتقاليد، والعادات، وأن الافراد يقبلون عليها بوصفها جزءاً من نظامهم القيمي. وعليه، فإضافة الى أن القوانين تعمل كزواجر، فإن وعي الفرد يعمل كآلية تحكم.

هل هناك حالة ما لاختراق القانون؟

على المستوى الفردي، يجري الاعتقاد بصورة عامة أن التصرف في حال الدفاع عن النفس مقبول. وفي السياق العام، فإن هذا السؤال بحاجة للطرح حول الجماعات المعارضة داخل المجتمع. فقد بدا واضحاً أنه لمصلحة تحقيق الاستقرار عبر التغيير المنظّم، فإن القوانين يجب ان تتم مراقبتها من قبل الجميع. مهما يكن، فإن من الجدير بالملاحظة أن التعبير الثوري هو خاصية في التجربة البريطانية.

فيا ترى ماهي تمظهرات حكم القانون وماهو المدخل الصحيح لضمان تشييد أسسه؟

ترشد مقالة إلكزاندر هاملتون، أحد واضعي دستور الولايات المتحدة المنشورة في مجلة (The Federalist) في العدد ٧٨ الى أهمية استقلال النظام القضائي بوصفه مدخلاً ضرورياً وربما وحيداً لقيام حكم القانون، مشدداً على أنه (لا وجود للحرية دون فصل السلطة القضائية عن السلطتين التشريعية والتنفيذية. وما على الحرية أن تخشى أي أمر يتعلق بالنظام القضائي بمفرده لكن عليها أن تخشى كل أمر إذا ما اتحد القضاء مع أي من السلطتين الأخريين) أي التنفيذية والتشريعية. وبصرف النظر عن التباينات في الانظمة القضائية فإن هاملتون يعتقد جازماً أنه لا يمكن ضمان واقع ومظهر الالتزام الحريص بحكم القانون للناس إلاّ من خلال استقلال القضاء. وكان الرئيس الاميركي الاسبق و. ويلسون قال (إن الحكومة تحافظ على وعودها أو تنكثها من خلال محاكمها، وعليه يصبح كفاح الفرد من أجل إقامة حكومة دستورية هو كفاح لسن قوانين جيدة، ولكن، بالطبع، أيضاً لإقامة محاكم مطّلعة ومستقلة وغير متحيزة).

نلحظ هذا التأكيد أيضاً على استقلال القضاء كمقدمة لتشييد حكم القانون في مبادىء بنغالور الستة الخاصة بتنظيم السلوك القضائي وهي: الاستقلال، عدم التحيز، النزاهة، اللياقة في السلوك والمظهر، المساواة، والكفاءة. وقد جرى تطوير هذه المبادىء تحت إشراف الامم المتحدة لتعزيز إمكانيات ترصين نزاهة النظام القضائي. ونصّ المبدأ الاول على :(ان الاستقلال القضائي شرط مسبق لحكم القانون وضمانة أساسية لمحاكمة عادلة. لذلك على القاضي أن يدعم ويكون مثلاً أعلى للاستقلال القضائي في كل من وجهتيه الفردية والمؤسساتية على حد سواء).

لقد ثبت من خلال عملية الفصل بين السلطتين التشريعية والقضائية أن هذا الفصل أساسي للحفاظ على حكم القانون، إذ أن اضطلاع هيئات حكومية بدور المشرّع والقاضي يزيد في خطر السلوك الاستبدادي للحكومة بدرجة كبيرة، والعكس صحيح فحين تتم عملية الفصل بين سلطة تشريع القوانين عن سلطة تفسير وتطبيق هذه القوانين يتعزز حكم القانون، بحيث يتم الحكم في النزاعات وفق قواعد التشريع المؤسسة سلفاً.

وبطبيعة الحال، ويجب التذكير دائماً على أن استقلال النظام القضائي ليس هدفاً نهائياً بحد ذاته، بل هو وسيلة لتحقيق الهدف، أي أن الاستقلال القضائي يمثل نواة حكم القانون من أجل إعطاء الثقة للمواطنين بأن القوانين سيجري تطبيقها بصورة عادلة ونزيهة ومتكافئة. ولذلك جرى التشديد دائماً على حماية النظام القضائي لحقوق الانسان بوصفها مجالاً يتعرض للاعتداء بصورة دائمة من قبل السلطة التنفيذية، ولا مجال فيه لتوفير الحماية لهذه الحقوق الا عن طريق وجود نظام قضائي مستقل. ولذلك قيل بأن الاستقلال هو ينبوع الشجاعة المطلوبة لخدمة وظيفة حكم القانون.

هل أخطأت الصحافة السعودية في حق القضاء؟

جمال خاشقجي

لماذا يتجاهل مجلس القضاء الأعلى ووزارة العدل ما ينشر في الصحف المحلية، حول ما يمكن أن يوصف بـ"عجائب وغرائب" القضاء السعودي؟ إن القضاء من أعز ما نملك، وباستقامته تستقيم الحياة، والثقة به واجبة، والاطمئنان إلى عدالته أساسية، ولو اختل أمر واحد مما سبق، لكان له تأثير سلبي على المجتمع كله، وعلى مكانة المملكة داخلياً وخارجياً، وبالتالي لا يجوز أن تسكت الجهات المعنية بالقضاء على ما يمكن أن يوصف بحملة تشويه له إذا كان كذباً وافتراءً، وفضيحة للقضاء وأهله إن كان صحيحاً.

إن الصحف تقوم بدورها المتوقع عندما تنشر "تجاوزات" القضاة، وليس من الصحيح والصحي اتهامها بجعل العامة يتجرؤون على هيبة القضاة، إذا كان ما تنشره صحيحاً، وطالما أنها تتصل وتتمنى لو يتجاوب معها مجلس القضاء أو تتواضع لها وزارة العدل، فترد على استفساراتها وتوضح لها ما خفي وأشكل أمره. إن وزارة التجارة لا تستنكف أن توضح لصحيفة، حقيقة وجود ذبابة في مشروب غازي، ووزارة العمل تجيب لو سأل صحفي لماذا لم تشمل الزيادات الموظفين على هذا البند أو ذاك، ووزارة الخارجية تسارع بالتوضيح لو اشتكى مواطن اتصل بسفارة بلاده في بلد ما ولم يجد من يعاونه، أما مجلس القضاء الأعلى المعني بشؤون القضاء والقضاة فلا يرد ولا يوضح على مسائل لها علاقة برقبة مواطن مهدد بالقصاص بعد أن يحاكم مرتين في التهمة نفسها، أو مواطن آخر يخرب بيته ويسلب حق حضانة أبنائه منه لأن في بيته "دش" استقبال محطات فضائية!

أتمنى ألف مرة أن تكون صحيفتا "الوطن" و"الرياض" مخطئتين على أن يكون ما نشرتاه صحيحاً. القصة الأولى اشتهرت وأصبحت حديث المجالس وعرف بها القاصي والداني، نشرت صحيفة "الرياض" أن مواطناً اشتكى من أن قاضياً في محكمة الرياض حكم لزوجته غير المطلقة منه! بحق حضانة أولادهما لأن في بيته "دش" استقبال قنوات فضائية! وأطلع المواطن الصحيفة على الحكم الغريب الذي جاء فيه: "إنه بناء على ما تقدم من الدعوى والإجابة وبما أن المذكور من الأولاد تقل أعمارهم عن سبع سنوات وبأن البنت يزيد عمرها على ذلك وبأن المدعي قد أقر بوجود "الدش" في بيته، وأنه يعرض القنوات العربية، وقد عرف واستيقن ما تعرضه هذه القنوات من أفلام ومسلسلات تؤثر على أخلاق أولاد المسلمين وتجرهم إلى الانحراف ومجانبة الطريق المستقيم، وبما أن البنت غالباً وقتها في البيت، فهي بلا شك ستتأثر بذلك، وبما أن الحضانة يُنظر فيها بالأصلح للطفل المحضون، فقد صرفت النظر عن دعوى المدعي بعدم استحقاقه للحضانة". ما سبق نص من حكم قضائي سيسجل في ملفات المحاكم السعودية للتاريخ والدرس والعبر وليس كلام مجالس لا يُعتد به.

نُشرت هذه القصة في ٩ يوليو الماضي ولم يهتم مجلس القضاء الأعلى بعد بالتوضيح أو النفي أو الإثبات، وحيث إن "القياس" من أدوات الفقه والقضاء في الشريعة الإسلامية، فمن حقي أن أقلق بصدور حكم قضائي غريب كهذا، يمكن أن يكون سابقة يعتمد عليها قضاة آخرون، ففي بيتي "دش" استقبال محطات فضائية وغربية أيضاً، وأستطيع أن أثبت لفضيلة القاضي الذي أصدر الحكم، أن هناك ملايين غيري من المواطنين السعوديين واقعون في نفس "الخطيئة"، فبماذا سيحكم علينا فضيلته لو انتهينا بين يديه؟ هل يُعقل أن يصدر حكم كهذا ولا يكلف أحد نفسه في الجهة المعنية بأمر القضاء وما آل إليه ويعلق عليه.

القصة الثانية أدهى وأمر، نُشرت في صحيفة "الوطن" قبل أسبوعين لشاب من حائل، اتهم في جريمة قتل، فحوكم وبُرئ من القتل العمد الذي فيه قصاص، وأُدين "بقتل شبه العمد" وميِّز الحكم، وأُلزم بالدية فدفعها، فأُطلق سراحه وطُوي قيده، واعتقد أنه استأنف حياته بعد أن نال نصيبه من العقاب على تهوره يوماً، ولكن يُقبض عليه مجدداً بعد ٣ سنوات ويُحاكم على نفس التهمة الأولى ويُحكم عليه بالقصاص هذه المرة، ولا زال في السجن يستنجد بالمسؤولين وجمعية حقوق الإنسان، إنه مذهول، ومعه أيضاً، كل حقوقي سعودي، وكل من يعرف ولو قليلاً من علوم الشريعة الإسلامية، فالمجمع عليه ألا يُحاكم الإنسان مرتين في الجريمة نفسها، فهذا مبدأ مقدس تجده في الأحكام الوضعية في كل الدول، وسبقتها إليه الشريعة الإسلامية بعدلها المستمد من كتاب الله وسنة رسوله. سألت من يعرف في الشريعة، فأحالني إلى كتاب "شرح منتهى الإيرادات وشرح كشف القناع"، قال إنها كتب الفقه الحنبلية المعتمدة في محاكمنا، وإنها عالجت هذه المسألة وحسمتها بأنه إذا حكم قاضٍ في قضية، فلا يجوز لغيره النظر فيها ما لم يعترض "المحكوم"، وهذا لا يحصل إلا نادراً، فالمحكوم يستأنف لو صدر حكم في غير صالحه، ولكنه لا يعترض لو بُرئ. مسألة معقدة تستحق اهتمام أهل الفقه والفكر، يبذلون فيها مجهوداً يفيد لو ناقشوها في الصحف عوضاً عن انشغالهم بموضوعهم المفضل "مضار قيادة المرأة للسيارة".

مرة أخرى، رغم أهمية الموضوع، وتماسه مع أهم مبادئ عدالة القضاء، لم يلفت الموضوع برمته مجلس القضاء الأعلى أو وزارة العدل. رغم أن مراسل "الوطن" فعل الشيء الصحيح، فاتصل برئيس محاكم منطقة حائل الشيخ سلامة الجلعود الذي رفض التعليق على القضية، وأحاله إلى العلاقات العامة في وزارة العدل، ولم يشر المراسل فيما إذا فعل ذلك وواجبه الصحفي أن يفعل، وواجب الإدارة المعنية أن ترد وتوضح حتى إن لم يتصل بها الصحفي.

لعل هاتين القضيتين وغيرهما مما لم يُنشر عنه في الصحف –ولكن تلوكه المجالس– أن تكون الحافز للتسريع في إنجاز الأنظمة الحديثة لتطوير القضاء التي أشير إليها أكثر من مرة من قبل القيادة والمسؤولين والتي نوقشت في مجلس الشورى وغيره من اللجان المتخصصة المعنية، فالقضاء هو حجر الزاوية الذي تستند عليه كل مشاريع التطوير والبناء التي يشهدها الوطن، وهو الذي يضمن "إيصال العدالة إلى المواطنين وحمايتهم من تجاوزات السلطة العامة"، كما جاء في كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يرحمه الله في كلمته الشهيرة قبل عامين أمام مجلس الشورى وحددت فيها أطر مشروع الإصلاح الذي شارك في صياغته خادم الحرمين الملك عبد الله يحفظه الله.



الإتحاد الظبيانية، ٢٠٠٥/٨/٣٠

(٢-٢)

التجارة في المدينة المنورة

الحجاز وتجارة صدر الإسلام

د. إبراهيم بيضون

من الطبيعي أن تتخذ المدينة دوراً في الحركة التجارية المتمحورة في الحجاز وحاضرته مكة قبل الإسلام، وان كان أقل شأناً من الأخيرة التي اتخذت التجارة حرفتها الأساسية، بينما تنوع الإنتاج في الأولى، انطلاقاً من تمايز البيئة بين الحاضرتين، ما بين جرداء قاحلة في مكة، وبركانية خصبة في المدينة (يثرب) مما جعل الزراعة متقدمة فيها على وسائل الارتزاق الأخرى بما فيها التجارة. وكان هذا التداخل الجغرافي مع اقتصاد المدينة الذي غلب عليه الطابع الزراعي، ما يزال مستمراً في انعكاسه أيضاً على حركة التجارة فيها، بعد أن وضعها الموقع الجغرافي في دائرة حيوية من تجارة قريش وشبكة مواصلاتها مع أسواق الشام. واذا كانت المدينة لم تصل على ما يبدو الى تنظيم قوافل خاصة بها على غرار مكة، فان حضوراً بارزاً كان لها في التجارة الداخلية على الأقل، حيث تردد تجارها على السوق الحجازي، وحملوا اليه منتجاتهم الزراعية والصناعية، كما استوردوا بعض السلع عبر القوافل المكية(٧٧) أو عبر التجار الأنباط الذين ألفتهم سوق المدينة، حاملين اليها منتجات الشام(٧٨).

وفي ضوء ذلك، فان المدينة انطلاقاً من هذه المعطيات، تشهد نمواً ملحوظاً للحركة التجارية فيها، ربما على حساب المصادر الإنتاجية الاخرى، ذلك أن توافد المهاجرين عليها واستقرارهم فيها، حيث التجارة حرفتهم الوحيدة، قد أوجد ظروفاً جيدة لانتعاشها، سرعان ما أصبحت اكثر ملاءمة بعد إخراج اليهود - الذين كان أصلهم تجاراً - من المدينة. فثمة حادثة في سياق المجابهة مع هؤلاء ربما كانت ذات خلفية تجارية، وهي مقتل اليهودي ابي رافع سلام بن الحقيق الذي وصف بأنه تاجر أهل الحجاز.. وكان يظاهر كعب بن الأشرف على رسول الله(ص)(٧٩)، ومن هذا المنظور يفترض أن تتجاوز أهمية التجارة في المدينة، ما توفره الروايات التاريخية في هذا المجال(٨٠)، في وقت كانت الثروة أحد وجوه الاستقطاب(٨١) السياسي في الصراع بين مكة والمدينة. فقد برز بين المهاجرين حينذاك عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كتاجر كبير نمت ثروته بعيد الهجرة، وكان النبي قد آخى بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري أكثر أهل المدينة مالاً(٨٢) حسب الرواية التي أوردها ابن سعد، وألمح فيها الى بروز الدافع التجاري عند عبد الرحمن الذي بادر فور وصوله الى التعرف على السوق

المهاجرون استطاعوا بفضل خبرتهم وثروات بعضهم، تنشيط الحركة التجارية في المدينة، مستفيدين من موقعها الجغرافي على طريق الشام

فاشترى وباع فربح(٨٣) ونسب اليه القول للنبي "فلقد رأيتني لو رفعت حجراً رجوت أن أصيب تحته ذهباً أو فضة"(٨٤) حسب الرواية نفسها.

وثمة مؤشرات أخرى الى هذا الموقع التجاري البارز لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، منها أن قافلة له بلغت خمسمائة عير أحدثت ضجة في المدينة فيما يرويه ابن سعد أيضاً(٨٥). وقد انعكس ذلك على موقعه السياسي وعلاقته القبلية خارج الحجاز، لاسيما تلك العلاقة مع بني كلب في دومة الجندل، حيث قام بسريته الوحيدة(٨٦) لاعتبارات ربما كانت تجارية، تتعلق بخطورة هذه السوق في الحياة الاقتصادية للمدينة، لاسيما الدور المعرقل الذي يمكن أن تمارسه ازاء تجارة الأخيرة، على نحو ما جرى في مطلع العام الخامس الهجري، عندما خرج اليه النبي(ص) غازيا بعدما تناهى اليه من أخبار في هذا السبيل(٨٧) وفقا لرواية ابن سعد.

والى جانب عبد الرحمن بن عوف، برز تجار آخرون من المهاجرين، كالزبير بن العوام رضي الله عنه الذي كانت له على ما يبدو علاقات مباشرة مع أسواق الشام وإن لم تتأثر تجارته بالحصار القرشي على المسلمين، اذ تشير احدى الروايات الى أن النبي وهو في طريقه من مكة الى المدينة ومعه ابو بكر الصديق رضي الله عنه، لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام(٨٨)؛ وكذلك يندرج طلحة بن عبد الله رضي الله عنه بين كبار تجار المدينة، ومن الذين تجاوزوا النطاق المحلي وترددوا على سوق بصرى في الشام(٨٩). ولعل عثمان رضي الله عنه الذي كان أقاربه من البيت الأموي ممسكين حينذاك بزمام التجارة في مكة، قد توافرت له ظروف ربما لم تتوافر تماماً لغيره من تجار المدينة. واذا كانت الروايات التاريخية قد خلت من الاشارة الى دور عثمان رضي الله عنه التجاري، باستثناء ما ورد عن ابتياعه التمر من بني القينقاع(٩٠) بعيد الهجرة، فان الثروة التي اشتهر بها، يرجح أن يكون مصدرها من التجارة. وقد اتاح له ذلك تمويل حملة تبوك حسب الرواية التي اوردها ابن سعد، اذ أن النبي حض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا وأنفق عثمان بن عفان رضي الله عنه في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها(٩١).

ويمكن الاستنتاج من ذلك بأن المهاجرين استطاعوا بفضل خبرتهم وثروات بعضهم، تنشيط الحركة التجارية في

المدينة، مستفيدين من الموقع الجغرافي للاخيرة على طريق الشام، كما سهل لهم الوصول الى أسواق التجارة القرشية. بالاضافة الى ذلك، فإن الطابع التجاري كان ظاهرا بصورة ما في بعض السرايا والغزوات النبوية، متخذة التجارة فيها هدفاً رديفاً الى جانب اهدافها السياسية والعسكرية، مما جعلها مصدراً هاماً في حياتها الاقتصادية. أمّا إذا توقفنا عند عائدات هذه السرايا من الغنائم والمتاع والأموال، فقد اشار عروة بن الزبير في هذا السياق الى أن المسلمين خرجوا بصحبة النبي الى بدر "وأخذوا معهم بضائع وقالوا إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر"(٩٢). وثمة اشارة أخرى أوردها ابن سعد في سياق غزوة النبي الى بدر (الموعد) حيث "سار في المسلمين وهم ألف وخمسمائة، وكانت الخيل عشرة أفراس وخرجوا ببضائع لهم وتجارات"(٩٣).

فقد كان على المسلمين مواجهة التحديات في المدينة، بما في ذلك التحدي الاقتصادي في مرحلة تكوين الدولة والمجتمع الجديدين، فكان توفير الغذاء وغيره من احتياجات أساسية، مما يشغل بال النبي والمسلمين ويتخذ حيزاً كبيراً بين اهتمامهم، دون أن يدعوا فرصة ما في هذا المجال.

ومن هذا المنظور تصبح التجارة رديفة للسرايا في بعض الأحيان، لا سيما تلك التي تستهدف مناطق معينة، تقام فيها أسواق أو تقع على خطوط القوافل، وذلك على غرار غزوة بدر حيث كانت بدر "مجتمعاً يجتمع فيه العرب وسوقاً تقوم لهلال ذي القعدة الى ثمان وقامت السوق صبيحة الهلال، فأقاموا فيها ثمانية أيام وباعوا ما خرجوا به من التجارات فربحوا للدرهم درهما وانصرفوا"(٩٤). أما بالنسبة للتجارة خارج الحجاز، فقد مثلتها سرية "ام قرفة"(٩٥) التي قادها زيد بن حارثة الذي "خرج في تجارة الى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي"(٩٦). ولعل هذه الاشارة – على اقتضابها – الى وجود تجارة مباشرة مع الأسواق الشامية، تعبر عن المدى الذي بلغته دولة المدينة في المجال التنظيمي، على نحو جعلها غير مستغرقة بكليتها في الشأن العسكري، ولكنها تركت حيزاً لشؤونها الحياتية، بحيث كان يسهم ذلك في تعزيز موقعها الاقتصادي وتجذير علاقاتها الدينية والسياسية في الحجاز وأطرافه الشمالية بصورة خاصة. فقد كانت للشام جاذبية بالنسبة للمسلمين المهاجرين، الذين ألفوا التردد عليها تجاراً في العهد القرشي، وآثروا عملياً في هذا التوجه الشامي المبكر للدولة، الذي أخذ يتبلور في غزوة مؤتة ودلالاتها السياسية والإقتصادية البعيدة(٩٧).

ولعل هذه المسألة مرتبطة بالتحولات التي شهدتها المدينة، لاسيما بعد انحسار موجة الخطر القرشي على الدولة الإسلامية، في أعقاب الفشل الذريع الذي منيت به غزوة الأحزاب واختلال التوازن لمصلحة المدينة، وما أدى اليه ذلك من تعديل للموقف القبلي أو بعضه، والخروج من التردد بين القوتين المتصارعتين، وانعكاسه بالتالي على المدينة التي شهدت "هجرة جديدة" كان عليها مواجهتها بتنمية مصادرها الاقتصادية(٩٨)، وفتح خط تجاري مستقل لها الى الشام.

على أن تجارة المدينة بدت غير محصورة في هذا الاتجاه، على الرغم من أهميته في ذلك الحين، فقد أتاحت حرية الحركة للمسلمين بعد إحكام سيطرتهم على شمال الحجاز، التجوال بدون عائق في مراكز التجارة المختلفة، باستثناء الجنوبية منها، الداخلة في العمق الجغرافي لمكة. فثمة إشارات تلمح الى علاقات تجارية للمدينة مع شرقي شبه الجزيرة.

الطابع التجاري كان ظاهراً بصورة ما في بعض السرايا والغزوات النبوية، متخذة التجارة فيها هدفاً رديفاً الى جانب أهدافها السياسية والعسكرية

استناداً الى الحديث الشريف "من تعذرت عليه التجارة فعليه بعُمان"(٩٩) دون أن يكون خافياً ما لهذه الأخيرة من أهمية تجارية، كنافذة بحرية على تجارة الشرق العريقة، كان الاتصال بعُمان يقتضي المرور باليمامة، مركز بني حنيفة، واحدى أبرز المحطات التجارية بعد مكة. فضلاً عن عمان هناك البحرين– المحطة البحرية الهامة – حيث أشارت رواية لوهب بن جرير الى وجود اربعمائة تاجر منها في المدينة، أجبروا على الدفاع عنها اثناء حصار الأمويين لها بقيادة مسلم بن عقبة المري(١٠٠). كذلك امتدت تجارة المدينة الى مصر، ونصح النبي بالاتجار معها لا سيما "الجانب الغربي منها"(١٠١) الذي كانت ترد منه الحبوب عبر ميناء المدينة(الجار). وقد وصف الاخير (الجار) بأنه "ساحل أهل المدينة.. ترفأ اليه السفن من مصر وأرض الحبشة ومن البحرين والصين"(١٠٢). ويبدو أن هذا المرفأ كان له دور كبير في تجارة المدينة قبل الهجرة، ولكن الرواية أغفلت دوره بعدها، وان كان من المرجح استمرار استخدامه لأغراض تجارية(١٠٣) استناداً الى الحديث الشريف السابق.

ولكن "الجار" يصبح مخزن الحبوب المستوردة من مصر "قبل توزيعها على أهل المدينة"(١٠٤) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي نسب إليه بأنه "أول من حمل الطعام في السفن من مصر في البحر.. ثم حمل من الجار الى المدينة"(١٠٥) حسب الرواية التاريخية. ويذكر اليعقوبي، ربما في السياق نفسه، أن الخليفة عمر رضي الله عنه "كتب الى عمرو بن العاص أن يحمل طعاماً من البحر الى المدينة يكفي عامة المسلمين حتى يصير به الى ساحل الجار، فحمل طعاماً الى القلزم ثم حمله في البحر في عشرين مركباً، في المركب ثلاثة آلاف أردب وأقل وأكثر حتى وافى الجار، وبلغ عمر قدومها، فخرج ومعه جلة أصحاب رسول الله (ص) حتى قدم الجار. فنظر السفن ثم وكل من قبض ذلك الطعام، وبنى هنالك قصرين وجعل ذلك الطعام فيهما. ثم أمر زيد بن ثابت أن يكتب الناس على منازلهم، وأمره أن يكتب لهم صكاكاً من قراطيس ثم يختم أسافلها، فكان أول من سك وختم أسفل الصكاك"(١٠٦).

ولقد ترادف الطعام هنا مع الحبوب (القمح) التي كان يجري خزنها في الجار بينما تم استيراد سلع غذائية لم تمسها الرواية، من الشام والعراق في الفترة نفسها التي عانت فيها المدينة على ما يبدو نقصاً في التموين، بعيد موجة الفتوح، وما نتج عنها من التفريغ البشري للحجاز واندراج مادته العاملة في معسكرات الأمصار. وفي ضوء ذلك تصبح للطعام دلالة أخرى عندما يكتب الخليفة إلى معاوية (واليه على الشام): (فابعث الينا من الطعام بما يصلح من قبلنا فانهم قد هلكوا)(١٠٧) ثم يكتب الى سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه (واليه على العراق) للغرض نفسه(١٠٨).

ولعل ما يمكن استنتاجه مما سلف، أن الجار استعاد حركته التجارية، كمرفأ لاستيراد الحبوب من مصر وتخزينها، قبل توزيعها على أهل المدينة، وذلك وفقاً لوصولات أو صكاك رسمية ممهورة بختم

الخليفة، يتم بواسطتها تسليم كل فرد حصته من "الطعام". وقد يصار الى المتاجرة بهذه الأسهم فيما يعتقده المؤرخ صالح العلي الذي بنى رأيه على "ان كثيراً من أهل المدينة كانوا زراعاً، ويتمونون من منتوجات مزارعهم ولا يحتاجون الى طعام الرزق للاستهلاك، لذلك كانوا يبيعون الصكوك المخصصة لهم"(١٠٩). ولا شك أن استقرار الوضع السياسي في المدينة بعد غزوة الأحزاب، قد أسهم في توفير الأمن التجاري، ذلك الذي بات مهددا في مكة، مما شجع الأغنياء على مغادرتها(١١٠) واستثمار أموالهم وتوظيف خبراتهم في المدينة، حيث باتت أسواقها تؤمن فرصاً جيدة ومشروعة لهم.

وليست لدينا مادة وافية عن الحركة التجارية داخل المدينة ولكن يبدو أن اليهود كانت لهم السيطرة على أسواقها قبل الهجرة، لاسيما بني قينقاع الذين كانت لهم سوق عظيمة(١١١) كما وصفتها الروايات التاريخية، بالاضافة الى أسواق اخرى أوردها السمهودي وهي (سوق بزبلة من الناحية التي تدعى يثرب بسوق "الصفاصف بالعصبة" وسوق مزاحم "في موضع زقاق ابن حيين"..)(١١٢). وبعد الهجرة أقام النبي للمسلمين سوقاً في موضع بقيع الزبير، ثم حولها الى موضع آخر أصبح يعرف بسوق المدينة، مبيحاً الإتجار فيها "لا يتحجروا"(١١٣).. ولا يضرب عليه خراج(١١٤). وكانت هذه السوق مكشوفة وتباع فيها منتوجات المدينة والبوادي وما يرد اليه من الخارج، وذلك في اطار اجراءات شرعية وتنظيمية صارمة فرض على التجار الالتزام بها. فقد منع بيع السلع المحرمة وبيع المجازفة(١١٥) والمزاينة(١١٦) ونهى عن السمسرة والخداع والغش(١١٧) والمضاعفة(١١٨) والحلف(١١٩) الى آخر ذلك من التشريعات التي نظمت عمليات البيع والشراء في سوق المدينة في عهد النبي والخلفاء الراشدين. كما ومنع ايضاً التمايز بين التجار، أو اتخاذ خصوصية ما لأي منهم، سواء كانوا من المهاجرين أو الانصار.

وقد أشارت احدى الروايات الى احراق خيمة بأمر من النبي، أقامها النصارى في السوق(١٢٠)، كما منع استخدام الأخيرة لأغراض أخرى غير التجارة، وكل ما يؤدي الى الانتقاص من شأنها، حسب التعبير المنسوب للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما "رأى كير حداد في السوق"(١٢١). ويبدو أن سوق المدينة كانت مفتوحة للتجار مسورة دائمة، ويقوم على شؤونها ومراقبتها صاحب السوق أو عامل السوق، والذي تولاه عمر رضي الله عنه في عهد الرسول(١٢٢) وربما احتفظ به وقتاً ما في عهده قبل تعيين عامل عليها(١٢٣) دون أن يغفل مراقبتها عن كثب(١٢٤) حيث كان في السوق يقوم بإحدى جولاته، عندما لقيه أبو لؤلؤة وشكا له ثقل خراجه، وما جر اليه من اغتيال الخليفة كما جاء في الرواية التاريخية(١٢٥).

وقد عرفت المدينة في الواقع عهدها الأفضل، ما بين الهجرة واغتيال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي تمكن من استيعاب التحولات الهامة في الدولة الإسلامية، بما فيها اختلال التوازن الجغرافي والاقتصادي بعد انتقال مراكز الثقل الى الامصار وضمور الدور الحجازي الى درجة التبعية للأخيرة بعد غياب الخليفة. وهكذا أصبحت المدينة السوق المركزية للحجاز، وأخذ التجار يتوافدون عليها من مكة بعد "فتحها" ومن اليمامة والبحرين واليمن فضلاً عن الشام، وغيرها من ديار الإسلام أو ديار الحرب، اذا ما توقفنا عند احدى الروايات التي اشارت الى

ميناء المدينة (الجار) استعاد مكانته كمرفأ لاستيراد الحبوب من مصر وتخزينها، قبل توزيعها على أهل المدينة في عهد الخليفة عمر

طلب تجار منبج من الخليفة عمر رضي الله عنه، السماح لهم بالدخول الى (أرضه)(١٢٦).

ولعل السلع المعروفة حينذاك في سوق المدينة، لم تختلف كثيراً عن تلك التي عرفتها أسواق الحجاز قبل الإسلام، وان كان يفترض أن إخراج اليهود قد أثر على بعض السلع، مثل الاسلحة، والآلات الزراعية والحلي وغيرها من الصناعات اليدوية التي اشتهروا بها(١٢٧). ولكن المدينة استطاعت بفضل شبكة العلاقات الواسعة التي أقامتها مع مراكز التجارة التقليدية، تزويد سوقها بما افتقدته من سلع أساسية أو ثانوية في ذلك الحين. ولا توجد في الواقع تفاصيل عن السلع التجارية المتداولة، سوى ما يمكن استنتاجه من بعض الأحاديث النبوية والقليل من الاخبار التي انطوت على اشارات ما في هذا المجال. فعدا الحبوب التي جرى استيراد معظمها من مصر، كما سبقت الإشارة، عرفت سوق المدينة والأسواق الحجازية الأخرى عدداً من الأصناف التجارية، سواء المحلية منها مثل التمر والزبيب(١٢٨) والخيل والإبل والمواشي، أو المستورد منها مثل الحنطة والزيت والذهب والفضة والعطور وغيرها. فقد انتشرت عطور اليمن في المدينة بعد أن راجت قبل الإسلام في تجارة مكة. وجاء في رواية الواقدي (ان أسماء بنت مخربة – أم أبي جهل – في زمن عمر بن الخطاب كان ابنها عبد الله بن أبي ربيعة يبعث اليها بعطر من اليمن، وكانت تبيعه في قوارير)(١٣٠). وكان للألبسة محل بارز في التجارة الحجازية بعيد الإسلام(١٣١) وكان بعضها ينتج محلياً(١٣٢) والكثير منها يستورد من مصادر شتى كاليمن(١٣٣) التي كانت تنتج البرود المعروفة باسمها، ونسب الى النبي (ص) تفضيله لها في لباسه(١٣٤) والى عائشة رضي الله عنها ائتزارها بالازر اليمنية(١٣٥) أيضاً، كما أشارت الروايات الى جبة للنبي (ص) من صنع شامي(١٣٦) والى قميص رازي لعلي(١٣٧) وآخر من كسكر(١٣٨) والى بروين من نجران(١٣٩) وقلنسوة من مصر(١٤٠)، وكذلك روي عن عثمان رضي الله عنه ارتداء البرود اليمنية والمطارف(١٤١) الفاخرة(١٤٢) وارتداء بقية الخلفاء الراشدين والصحابة وغيرهم هذه الألبسة المستوردة الى أسواق الحجاز، حيث كان للحج تأثير في رواجها وتنوع اصنافها، تبعاً لاختلاف الاقطار التي يفد منها الحجاج، لاسيما تجارة البز التي حضت عليها أحاديث نبوية(١٤٣).

وكانت الأوزان والمكاييل في هذا العهد هي نفسها التي عرفت قبل الإسلام، مع الفارق انها اصبحت مراقبة ومحددة وفقاً للمعيار الذي يفرضه صاحب السوق. فقد سادت الاولى (الأوزان) في مكة حيث النمط الانتاجي هو التجارة، بينما سادت الثانية (المكاييل) في يثرب ذات الطابع الزراعي، ولذلك جاء في الحديث الشريف (الوزن وزن أهل مكة، والمكيال مكيال أهل المدينة)(١٤٤) واندرجت وحدات الكيل ما بين المد والصاع والوسق(١٤٥) والجريب(١٤٦) والقفير الذي يستخدم أيضاً شأن الجريب كمقياس أرضي(١٤٧)؛ وكذلك وحدات الوزن، متفاوتة بين الدرهم والمثقال والقيراط والأوقية والرطل والقنطار(١٤٨) التي اعتبرت الوحدات الأساسية للوزن خلال العهد الأول من الإسلام(١٤٩).

اما النقود المتداولة حينذاك، فقد كانت متداخلة مع الاوزان، حيث كان الوزن يقرر

قيمة العملة مضافا اليه صفاء النوع. فالدولة الإسلامية لم تتخذ عملة خاصة بها في العهدين النبوي والراشدي، ولكنها أقرت عملة قريش الفارسية (الدرهم) الذي ورد في السياق القرآني(١٥٠) والبيزنطية (الدينار) فقد كانت تزن الفضة بوزن تسميه درهماً وتزن الذهب بوزن تسميه ديناراً، فكل عشرة من اوزان الدراهم سبعة أوزان الدنانير(١٥١) حسب رواية الواقدي، وكان الخليفة عمر رضي الله عنه قد حدّد المعيار الشرعي للدرهم الإسلامي(١٥٢) بعد أن رأى انتشاره الأعم في الحجاز وفي أقطار أخرى من الدولة(١٥٣) مضيفاً اليه شعار الإسلام وخاتم الخلافة(١٥٤).

وثمة وحدات نقدية اخرى، كالمثقال الذي كانت تزن سبعة منه عشرة دراهم(١٥٥) والدانق الذي كانت ستون منه تساوي الدرهم(١٥٦) والقيراط الذي كان اثنان وعشرون منه الا كسراً يساوي مثقالاً(١٥٧) فضلاً عن الشعيرة التي يعادل الدرهم ستيناً منها، والأوقية التي تعادل أربعين درهماً، والنش الذي يعادل عشرين درهماً، والنواة التي تعادل خمسة دراهم(١٥٨).

ولا بد من التعرض لموقع التجارة في واردات الدولة بين وارداتها الاخرى من غنائم وخراج وجزية، التي كان اركان ماليتها في صدر الإسلام، والواقع أن ما أوردته كتب التفسير والاموال والخراج وغيرها حول هذه المسألة لا يوحي بأن التجارة شكلت أحد المداخيل الهامة لبيت المال في ذلك الحين. فالضريبة التي فرضتها الدولة على التجار في عهد عمر، اتسمت بالمرونة وربما انطوت على التشجيع للتجار، لتأمين احتياجاتها من السلع، اكثر مما انطوت عليه من قيمة (خراجية) ليست متكافئة مع الضرائب الاخرى، وقد روي عن الخليفة في هذا السبيل انه اخذ من تجار النبط (من الزيت والحنطة نصف العشر(١٥٩) لكي يكثر الحمل الى المدينة)(١٦٠) وكانت سياسة عمر رضي الله عنه في تشجيعها للتجار على التردد الى أسواق الحجاز، تهدف الى ابقاء هذا الاقليم نابضاً بالحركة ودافقاً بالحياة، والى استمراره مقراً فعلياً للدولة، قبل وقوعه في التبعية الاقتصادية للامصار، التي كانت مقدمة لتبعيته السياسية.

وكان عمر رضي الله عنه في منهجه هذا يتماهى واقعاً مع نهج النبي (ص) الذي قدر أهمية التجارة في بيئة كانت الاخيرة عصب الحياة الاقتصادية فيها، كما اتخذت حيزها المناسب في دعوته التي كان من الطبيعي أن تتوجه نحو التجار في مكة وان تحاور كبارهم الذين منعهم الثراء الفاحش عن الاستماع له، ولكنه وجد بين هؤلاء التجار من لم تستبد به المادة وتطغى على انسانيته، من امثال ابي بكر رضي الله عنه الذي اختار الطريق الصعبة، برغم ما وصف به من انه كان (معروفاً بالتجارة.. وعنده أربعون الف درهم) حين بعث النبي(ص) حسب الرواية التاريخية(١٦١).

وقد تكرس هذا الاهتمام بالتجارة، كوسيلة انتاجية حيوية في الإسلام، بعد الهجرة الى المدينة، والانتقال الى مرحلة الدولة وما رافقها من امور تنظيمية شاملة فقد تمثلت الخطوة الاولى في بناء الجماعة الإسلامية(١٦٢) المقترنة باقامة المسجد، بصورتيه الروحية والزمنية في آن، والمقترنة أيضاً بانشاء السوق لتلبية احتياجات هذه الجماعة وتسيير مصالحها امام التحديات الخطيرة. ومن هنا جاء إعفاء التجار من (الخراج) كما سبق القول، ملائماً لطبيعة المرحلة ملاءمة القرار الذي اتخذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه باعفاء تجار

وقد عرفت المدينة في الواقع عهدها الأفضل، ما بين الهجرة واغتيال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبموته انتقل الثقل الى البصرة

النبط من نصف العشر فيما بعد. ولكنّ ثمة تمايزاً يفترض حدوثه بين العهدين في الوضع الاجتماعي للتجار المسلمين، الذين كانوا أكثر اندماجاً في المجتمع ومعاناته في العهد النبوي التأسيسي، دون أن يتقاعس التاجر مهما بلغ ماله عن المشاركة في الجهاد أو التردد في القيام بأي مهمة سياسية أو عسكرية. اما في العهد الثاني من الإسلام، فقد تراخت هذه العلاقة تحت ضغط التغيرات السريعة، مؤدياً ذلك الى بداية الفصل بين المسلمين والتجارة، وذلك بعد اندراج هؤلاء في حركة الفتوح وتقاضيهم العطاء، بينما أُعفي التجار المحترفون على الأرجح من هذه المهمة، وأعفيت الدولة بدورها من رفع عطاء من ليسوا بحاجة اليه أو ليسوا مستحقين له(١٦٣).

ومن هنا جاءت الضريبة مخفضة على التجار المسلمين في عهد عمر رضي الله عنه بعد أن كانوا معفيين منها في عهدي النبي وأبي بكر(١٦٤) إذ عُرفت بالعشر، أو ما يساوي ذلك من نسبة أرباحهم، متراوحة بين ربع العشر على التجار المسلمين ونصف العشر على أهل الفرقة والعشر كاملاً على أهل الحرب(١٦٥) وقد وردت هذه المعادلة في كتب الاموال والخراج، مضيفاً (أبو عبيد في احدى رواياته) معادلة أخرى تشير الى مساواة اهل الفرقة بالمسلمين استجابة لقرار الخليفة عمر رضي الله عنه الذي أمر عامل العشور بأن يأخذ من تجار أهل الذمة مثل ما يأخذ من تجار المسلمين(١٦٦). وتؤكد النصوص الواردة في كتب الخراج عن هذه الضريبة، المنحى الذي نحته سياسة الخليفة في تشجيع الحركة التجارية في الحجاز، حيث جاء في تفصيلاتها لدى أبي يوسف انها كانت تؤخذ من كل ما مر به على العشر وكان للتجارة وبلغ قيمة ذلك مائتي درهم فصاعداً أُخذ منه العشر، وان كان أقل من مائتي درهم لم يؤخذ منه شيء(١٦٧) والمقصود هنا مبدأ الضريبة المطبق على أهل الحرب، دون أهل الذمة والمسلمين الذي يدفعون النصف والربع كما سبقت الاشارة.

على أن هذه النسبة على قلتها، كان يصيبها التعديل أحياناً لمصلحة التجار، الذين يعفون منها اذا كان مال التجارة أو قيمتها دون المائتي درهم، بينما كان التاجر المسلم يعفى من الضريبة اذا كان عليه دين أو كان المال ليس له، وحلف على ذلك(١٦٨)، ويعفى أيضاً اذا مر بالفواكه وأشباهها التي لا تبقى في أيدي الناس(١٦٩). كما يدخل في هذا التسهيل للحركة التجارية ما أمر به الخليفة عمر رضي الله عنه بأن تؤخذ الضريبة مرة واحدة في السنة، بعد أن شكا له تاجر من أهل الذمة بأن عامل العشور يأخذ منه مرتين خلال تجارة له في الحجاز(١٧٠).

ولعل هذه العشور التي جاءت في سياق التنظيمات الادارية والاقتصادية التي أقرها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن لها تأثير بارز في مالية الدولة الإسلامية التي كانت لها مواردها الضخمة من الامصار. فقد عرفت المدينة حينذاك موجة مفاجئة من الثراء، بعد تدفق تلك (الحمول من الذهب والفضة والجواهر النفيسة)(١٧١) التي بدت ظاهرة في القول المنسوب لعمر رضي الله عنه: (انه قد جاء مال كثير، فان شئتم أن نكيل لكم كيلنا وان شئتم أن نعد لكم عددنا، وان شئتم أن نزن لكم وزننا)(١٧٢) وذكر في هذا السياق أن

جبـايـة السواد وحده في عـهد هذا الخليفة، بلغت (مائة الف الف وثمانية وعشرين الف الـف درهـم)(١٧٣) مما يـدلّ عـلـى ضـخـامـة واردات الدولة من أمصارها في ذلك الحين، على الرغم من التباس الرواية الي لم تحدد اذا ما كانت هذه الجباية سنوية أو أنها تشمل عهد الخليفة، ولذلك نخطئ في التقدير، اذا ما اعـتبرنـا أن المجتمـع الحجـازي ارتـبـط بالتجارة في الإسلام، ارتباطه السابق بها في العهد القرشي، بعد أن تخلى كبار التجار من المهاجرين أو من المسلمين الجدد عن هذا الدور، ملتحقين بمورد آخر وأكثر استقرار هو العطاء الذي ادى بصورة غير مباشرة الى انحسار التجارة، والى فترة فتور الرغبة في الاقبال عليها.

ولم يكن ما يثير الدهشة، انخراط اقطاب حلف المطيبين أو المتبقين منهم في ركب الدولـة، واسـهـامـهم في حركـة الـفـتوح تحت رايتها، في الوقت الذي ادت فيه طبيعة نظام العطاء الى احتواء هؤلاء التجار الذين كانت لبعضهم افضلية في العطاء على الرغم من التحاقهم بالمدينة، مثل العباس ابن عبد المطلب (١٧٤) ومـا قـيل عـن مسـاواة ابـي سـفـيـان بـه، حسب الـروايـة الـتـي أوردهـا الـيـعـقـوبـي(١٧٥). واذا كـان هـذا الاجراء ان صح حدوثه ينطوي على خلفية سياسية، لإقـامـة تـوازن بين اطـراف الاتجـاهـات الإسلاميـة، فـان خلفيتـه الاقتصاديـة كـانت واضحة في انعكاسها السلبي على التجارة الـتـي سـقطت كـمؤسسة قرشية مع سقوط الأصنـام في الـعـام الـهـجري الـثـامن، كما اصبح لإثنين من اركانها، موقع اجتماعي بارز في الإسلام ونصيب اوفر في العطاء "العباس وابو سفيان" استنـاداً الى الرواية السابقة.

ولعل هذا التراجع الذي طرأ على حركة الـتـجـارة في الحجـاز، أو عـلـى الأقـل تـلك الصدمة التي تعرضت له خلال الصراع بين مكة والمدينة أو بين الحاضرة والدولة، كان ينطوي على تصادم بين نمطين اجتماعيين، احدهما: بدوي، أو يقيم توازناته على هذا الاسـاس، وآخـر حضـري تجاوزت رؤيـتـه الاسـواق والمحطـات والـقـوافـل، وصـاغ علاقاته في الاطار الانساني الرحب، معبراً عن الاتجاه الرسـالي الشمولي في الإسلام. وفي ضوء هذه التحولات، فان التجارة تشهد انـكـفـاء ظـاهـراً في أوسـاط المسلمين الذين شـغـلـوا بـأمـور الجهـاد والسيـاسـة في تلك المرحلة، تاركين أمرها لتجار غير حجازيين في الغالب كان معظمهم من أهل الذمة وأهل الحرب(١٧٦) حسب مـؤشـرات الـكـتب الخراجـيـة. فـقـد تـراجـعت حـيـنذاك الحركة الـتجـاريـة في الحجـاز(١٧٧) لاسـيـمـا بـعد فـرض الاقـامـة عـلـى كـبـار الـصـحـابـة المهـاجـريـن في المديـنـة وكـبـح الـنـزعـة التجارية في نفوسهم، وفي الوقت الذي كان عـلـى الخليفة عمر رضي الله عنه تنشيط الـتـجـارة في الحجـاز بما يـتـنـاسب والمال الـكـثير الـذي يسع الـنـاس، حسب الـقـول المنسوب لعثمان رضي الله عنه(١٧٨)، ومن ثم تلبية احتياجات المسلمين في منطقة تعيش على التجارة وتستورد احتياجاتها الاسـاسـيـة مـن الخارج. وقـد يـبـدو الحس الـتـجـاري ظـاهـرا لـدى عـمـر رضـي الـلـه عـنـه(١٧٩) شـأن الـصـحـابـة المهاجرين أو معظمهم، ولكن المؤكد أن التجارة لم تعد ظـاهـرة المجتمـع(١٨٠) أو تـأخـذ بـهواجس الدولة التي اعتمدت في مواردها المالية على عدة مصادر، لم يكن للمورد التجاري سوى نصيب متواضع فيها(١٨١).

ومـن هـذا المنـظـور، يمكن الحديث عن هجرة التجارة العريقة في الحجاز الى مراكز الاسـتـقـرار الجديـدة في الامصـار (١٨٢) خصوصا بعد اغتيال الخليفة عمر رضي الله

الخليفة الراشد عمر تمكن من استيعاب التحولات الهامة في الدولة الإسلامية، بما فيها اختلال التوازن الجغرافي والاقتصادي بعد الفتوحات

عنه، الذي أدى الى خلل شديد في التوازنات الجغرافيـة والاقتصـاديـة والسيـاسـيـة، فقد انتهى، ولوقت بعيد، الدور التجاري للحجاز، بعد أن فقد هذا الاقليم وهجه الاستقطابي في عهد عثمان رضي الله عنه وبات يفتقد الى المقومات الاساسية للتجارة، باستثناء ما كـان لمكـة مـن دور محدود اسـتـمدتـه مـن مواسم الحج(١٨٣).

ولعل المفارقة البارزة في هذا التحول، هي أن الخط التجاري القديم الذي كان يمر عبر العراق، حاملاً تجارة الشرق (الخليج) الى أسـواق الـبـحـر المتـوسـط، وانـتـقـل الى شبـه الجزيـرة الـعـربـيـة بـعد اضطراب الامن في المنطقة، حيث كانت مكة المستفيدة الاولى منه، عاد هذا الخط مرة اخرى الى العراق عبر موجة الفتوح العربية الإسلامية(١٨٤) التي اتسعت شرقـا حـتـى تـخـوم الـهـند والصين، وبالتالي فان الطريق التجاري الطويل لم يعد محظورا بعد سيطرة العرب المسلمين عليه. ونـتـيـجـة لـذلك، فـقـد نشأت مراكز تجارية جديدة في العراق، مثل الابلة التي ازدهرت في ايام عمر رضي الله عنه(١٨٥).

كما تألقت البصرة كعاصمة للتجارة في الإسلام منذ وقت مبكر، وقصدها التجار من الحجـاز والشـام لـلـبـحـث عـن المنـتـجـات الآسـيـويـة وحـمـلـهـا الى أسـواق الـبـحـر المتـوسـط(١٨٦). ولـعـل الموقـع الجغـرافي المـمـتـاز الذي اتخذتـه البصرة، جعل مـنـهـا بوابة الشرق العريضة، حيث كان لسكانها المتحدرين في غالبيتهم من أصول يمنية، وما ينطوي عليه ذلك من تراث تجاري غابر تـأثير كـبير في اسـتـكـمـال الـفـتـوحـات الشرقـيـة(١٨٧) ومـا تـبـعـهـا مـن تـطـورات سياسية هامة خلال القرن الأول الهجري، وقد تـرافـق نمو المدينـة السريع، المزدحمة حـيـنـذاك بـالسكـان مـع نمو الـتـجـار، خلافـا للكوفة التي غلب عليها الطابـع الـزراعي، وعـاشت في ظل ظروف سياسية واجتماعية مختلـفـة. وكـانت هـذه الصلـة بين الحضور الـيـمـنـي والانتـعـاش الـتـجـاري في الـبـصـرة، واضحة في مقولة للهمذاني: (وأبعد الناس نجعة في الكسب بصري وحميري، ومن دخل فرغانة القصوى والسوس الاقصى فلابد أن يـرى فـيـهـا بصريـاً أو حميريـاً)(١٨٨) وفي مقدمة ما يعنيه ذلك، أن البصريين حملوا لـواء الـتـجـارة(١٨٩) في الـعـهـد الأول مـن الإسلام، وانتشروا في أقاصي الشرق وتوغلوا بعد ذلك في أرجاء الدولة الواسعة، حتى قال فيهم الجاحظ (ليس في الارض بلد واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من أطراف الدنيا الا وأنت واجد به البصري)(١٩٠).

وليست مصادفة أن تكون البصرة محور أولى المحاولات لخروج السلطة من الحجاز، خلال الفتنة التي اطاحت بالخليفة عثمان بـعـد اكـتـشـاف المعـنـيين في المعـارضـة والسلطة على السواء، عجز هذا الاقليم عن تأمين سبل استمرار الدولة على كافة الصعد السيـاسية والامنية والاقتصـادية. وقد جـاء اختـيـار الـبـصـرة حـيـنـذاك، كـمـقـر لـلـحـركـة المنـاوئـة لـعلـي تجسيدا لـهذا الـتحول الذي أودى بـالحجـاز ومـعـه تجارتـه العريـقـة الى الانـكـفـاء ودفـع بـالـبـصـرة الى الـواجـهـة كعاصمة للتجارة في الإسلام، على الرغم من سـقـوط المشروع السيـاسـي عـلـى أرضـهـا، ونجاحه لحين ما في الكوفة، ولحين أطول في دمشق، دون أن يؤثر ذلك على دورها التجاري، الذي بقي متألقاً عدة قرون، وفي ظل دول اسلامية متعاقبة.

الهوامش

(٧٧) أحمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ص ٣٧٤.
(٧٨) صحيح البخاري ٣٩ ص ٥٥ ـ ٥٦. الكتاني/ التراتيب الادارية ج ٢ ص٢٠.
(٧٩) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٤٦ ـ ١٤٧.
(٨٠) وات، محمد في المدينة ص ٦٧.
(٨١) Donner, The Early Islamic Conquest p 66.
(٨٢) ابن سعد الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ١٢٦.
(٨٣) المصدر نفسه.
(٨٤) المكان نفسه.
(٨٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٣٢.
(٨٦) ابن سعد، غزوات الرسول وسراياه ص ٨٩.
(٨٧) المصدر نفسه، وفقاً لرواية ابن سعد.
(٨٨) القاسي، شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٣٠.
(٨٩) الطبقات ج ٣ ص ١٧٤ الكتاني، تراتيب ج ٢ ص ٢٥ ـ ٢٦.
(٩٠) كنز العامل ج ٤ ص ١٦٤.
(٩١) الطبقات ج، ص ١٠٩.
(٩٢) مغازي عروة بن الزبر ص ١٨٣.
(٩٣) الطبقات ج ٢ ص ٥٩.
(٩٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ٥٩ ـ ٦٠.
(٩٥) في شهر رمضان من سنة ست للهجرة.
(٩٦) الواقدي كتاب المغازي ج٢ ص ٥٦٤، ابن سعد الطبقات ٢٩٠ ص ٩٠.
(٩٧) راجع دراستنا عن حملة مؤتة، مقاربة للمشروع السياسي الاول للدولة الإسلامية في بلاد الشام "المؤتمر الدولي الرابع لبلادالشام، الندوة الثانية ١٩٨٥".
(٩٨) Donner, The Early Islamic Conquest, p97
(٩٩) كنز العمال ج ٤ ص ٢٠.
(١٠٠) البلاذري انساب الاشراف ـ القسم الرابع ـ الجزء الاول ص ٣٣٧.
(١٠١) راجع الحديث الشريف: من أعيته المكاسب فعليه بمصر، وعليه بالجانب الغربي منها. كنز العمال ج٤ ص ٢١.
(١٠٢) البكري معجم ما استعجم ج ١ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦.
(١٠٣) ابن سعد، الطبقات ج ١ ص ٢٠٨.
(١٠٤) صالح العلي، العطاء في الإسلام مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٢٠/ ١٩٧٠ ص ٤٨ – ٤٩.
(١٠٥) ابن سعد، الطبقات ج ٣ ص ٢٨٢.
(١٠٦) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٥٤ ـ ١٥٥.
(١٠٧) ابن سعد، الطبقات ج ٣ ص ٣١١.
(١٠٨) المكان نفسه.
(١٠٩) العطاء في الإسلام ص ٤٩.
(١١٠) وات، محمد في المدينة ص ١١٥.
(١١١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص ١٤٣، الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر السول ص ٣٦٥.
(١١٢) وفاء الوفا باخبار دار المصطفى، ج٢ ص ٧٤٧.
(١١٣) اي التصرف في أموالهم، راجع لسان العراب ج ٤ ب ص ١٦٧.
(١١٤) وفاء الوفا ج ٢ ص ٧٤٨.
(١٥) بيع الطعام قبل نقله. مختصر صحيح مسلم ص ٢٤٥.
(١١٦) بيع نخل بتمر كيلاً أو كرم بزبيب كيلاً. المصدر نفسه ص ٢٤٦.
(١١٧) المصدر نفسه ص ٢٥١.
(١١٨) المصدر نفسه ص ٢٥٢.
(١١٩) المصدر نفسه ص ٢٥٤.
(١٢٠) وفاء الوفا ج ٢ ص ٧٤٩.
(١٢١) السمهودي، وفاء الوفا ج٢ ص ٧٤٩.
(١٢٢) ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في عصر الراشدين ص ٢٩٨.
(١٢٣) ابو عبيد، الاموال ص ٢١٤.
(١٢٤) الكتاني، التراتيب الادارية ج ٢ ص ٢٠٢.
(١٢٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٩.
(١٢٦) ابو يوسف، الخراج ص ١٣٥.
(١٢٧) الواقدي، المغازي ج ١ ص ١٧٦. المغربي، كتاب الجغرافيا ص ١١٧، السمهودي، وفاء الوفا ج ١ ص ٢٧٨.
(١٢٨) معجم البلدان ج ٤ ص ١١.
(١٢٩) كنز العمال ج ٤ ص ٣٢، ٥٣، ١٥٠، ١٧٢ ابو عبيد، الاموال ص ٢١٤.
(١٣٠) الواقدي، المغازي ج ١ ص ٨٩، الكتاني، تراتيب ج ٢ ص ٤٠.
(١٣١) صالح العلي، الانسجة في القرنين الاول والثاني الهجري ص ٥٥١. مجلة الابحاث مجلد ١٤ ج ٤ كانون الاول ١٩٦١.
(١٣٢) ابن سعد، الطبقات ج ١ ص ٤٥٥.
(١٣٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك ص ٧١.
(١٣٤) مختصر صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٦١. ابن سعد الطبقات ج ١ ص ٤٥٦.
(١٣٥) المكان نفسه، ابن سعد الطبقات ص ٤٥٣.
(١٣٦) الطبقات ج ١ ص ٤٥٥.
(١٣٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٧.
(١٣٨) المصدر نفسه ج ٣٣٠.
(١٣٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٨.
(١٤٠) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٠.
(١٤١) جمع مطرف وهو رداء من الخز. لسان العرب ج ٢ ص ٢٢٠.
(١٤٢) الطبقات ج ٣ ص ٥٨. البلاذري، انساب ج ٥ ص ٣.
(١٤٣) (عليك بالبز فان صاحب البز يعجب أن يكون الناس بخير وفي خصب لو أذن الله تعالى في التجارة لأهل الجنة لاتجروا في البز والعطر) كنز العمال ج ٤ ص ٣١. وقد تماهى مع هذين الحديثين قول للجاحظ في هذا السياق "خير الصناعة الخز وخير التجارة البز" التبصر بالتجارة ص ١٣.
(١٤٤) كنز العمال ج ٤ ص ٨٦.
(١٤٥) الماوردي، الاحكام السلطانية ص ١٣.
(١٤٦) تخضع هذه المكاييل للتفاوت بين اقليم وآخر وتقديرها يخضع للاختلاف بين فقيه وآخر. راجع كنز العمال ج ٤ ص ٨٦. لسان العرب ج ٣ ص ٤٠٠، ج ١٠ ص ٣٧٨.
(١٤٧) ابو يوسف الخارج ص ٤٧، فتوح البلدان ص ١٣١، لسان العرب ج ١٠ ص ٢٦٠. الريّس الخراج في الدولة الإسلامية ص ٢٩٠ وما بعدها.
(١٤٨) لسان العرب ج ٥ ص ٣٩٥.
(١٤٩) فتوح البلدان ص ٤٥٣،٤٥١.
(١٥٠) (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) سورة يوسف. الاية ٢٠.
(١٥١) فتوح البلدان ص ٤٥٣ـ٤٥٤.
(١٥٢) راجع الماوردي،الاحكام السلطانية ص ١٥٣ ـ ١٥٤.
(١٥٣) فتوح البلدان ص ٤٥٢، الاحكام السلطانية ص ١٥٤.
(١٥٤) ضرب الدرهم الإسلامي لأول مرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وقد نقش على الوجه الذي يحمل صورة كسرى كلمات عربية بالخط الكوفي مثل "بسم الله" و"بسم الله ربي". راجع ناصر النقشبندي، الدرهم الإسلامي ص٢.
(١٥٥) فتوح البلدان ص ٤٥٢.
(١٥٦) الاحكام السلطانية ص ١٥٤، راجع أيضاً البخلاء للجاحظ ص ٨٩.
(١٥٧) فتوح البلدان ص ٤٥٢.
(١٥٨) المصدر نفسه ص ٤٥٣.
(١٥٩) كان يؤخذ منهم العشر قبل ذلك. ابوعبيد، الاموال ص ٢١٦.
(١٦٠) المكان نفسه.
(١٦١) ابن سعد، الطبقات ج٣ ص ١٧٢ راجع أيضا ابن اسحق، السيرة النبوية ص ١٢١ تحقيق محمد حميد الله.
(١٦٢) رضوان السيد،الامة والجماعة والسلطة ص ٥٣.
(١٦٣) صالح العلي، العطاء في الإسلام ص ٢٧.
(١٦٤) ذكر أن "أول من وضع العشر في الإسلام عمر" كنز العمال ج ٤ ص ٥١٣. أبو عبيد، الأموال ص ٢١٤.
(١٦٥) كنز العمال ج ٤ ص ٥١٤. أبو يوسف، الخراج ص ١٣٢ ـ ١٣٣.
(١٦٦) ابو عبيد، الاموال ص ٢١٣.
(١٦٧) ابو يوسف، الخراج ص ١٣٢ ـ ١٣٣.
(١٦٨) الأموال، ص ٢١٤.
(١٦٩) المكان نفسه.
(١٧٠) المصدر نفسه، ص ٢١٦، الخراج ص ١٣٦.
(١٧١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية ص ٨٣.
(١٧٢) ابو يوسف، الخراج ص ٤٥.
(١٧٣) أبن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٤.
(١٧٤) الخراج ص ٤٤، ابن الأثير، الكامل ج ٢ ص ٥٠٢ – ٥٠٣.
(١٧٥) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٥٣.
(١٧٦) ورد أن عمر بن الخطاب دخل السوق في خلافته، فلم ير فيه في الغالب إلا النبط. الكتاني/ التراتيب ج ٢ ص ٢٠.
(١٧٧) Gadefroy Demonbynes, le monde muslman et Byzantin IV p 25
(١٧٨) الطبري، تاريخ ج ٤ ص ٢٣.
(١٧٩) راجع القول المنسوب لعمر: "اذا اشتريت جملاً فاجعله ضخماً فان لم يبعه الخبر باعه المنظر" الجاحظ، البخلاء ص ٢١٩ "اذا اشترى أحدكم جملاً ليشتره عظيماً سميناً فان أخطأه خير لم يخطئه سوقه" الكتاني، التراتيب الادارية ج ٢ ص ٢٣.
(١٨٠) علي عباس الهواري: التجارة في صدر الإسلام ص ٧٨.
(١٨١) روي عن عمر بن الخطاب قوله في هذا السياق "ان الله أغنانا عن السوق بما فتح به علينا" الكتاني، تراتيب ج٢ ص ٢٠.
(١٨٢) Lammens - Lamecque ala Veille de L, Hegrre P 113 - 114
(١٨٣) صالح العلي، العطاء في الحجاز ص ٢٠.
(١٨٤) Lammens, Lamecqe, P 115; Heyd, Histoire de commerce de levank a mayen - age 11 P 5 – 7
(١٨٥) ابو يوسف، الخراج، ص ١٣٧.
(١٨٦) روي أن أبا موسى الأشعري دفع مالاً من بيت المال لعبد الله وعبيد الله إبني عمر بن الخطاب بالبصرة اشتريا به بضاعة ـ الكتاني/ تراتيب ج٢ ص ٢٨.
(١٨٧) العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص ٤٢.
(١٨٨) كتاب البلدان، ص ٥١.
(١٨٩) يبدو أن هذه الصفة اكتسبها البصريون خلال القرون التالية من الإسلام، حيث اورد ابن خرداذبة في معرض وصفه لصعدة "اليمن" بأنها قرية عظيمة فيها تجار كثير وبها يعمل دباغ اليمن من الأدم والنعال وأكثر تجارهم من اهل البصرة وطريق فيها للبصريين يرجع الى الركيبة. المسالك والممالك ص ١٨٩.
(١٩٠) التبصر بالتجارة، ص ٦.

الملك عبدالله

ملك سعود جديد أم سادات آخر؟!

ترى مصادر مطلعة أن الملك السعودي الجديد عبدالله بن عبد العزيز آل سعود ليس في نيّته ـ وربما ليس في قدرته ـ إحداث تغيير وزاري يراعي حقيقة أن ملكاً جديداً قد وصل الى سدة الحكم، وأن موازين القوى بين الأجنحة الحاكمة في العائلة المالكة قد تغيّرت ـ كثيراً أو قليلاً ـ بسبب هذا التطور الجديد. بمعنى ان الوزارة التي تشكلت قبل أشهر من وفاة الملك فهد وفق موازين القوى يومئذ، وهي موازين كان فيها عبدالله مجرد ولي للعهد، لا تعكس حقيقة أن عبدالله أصبح ملكاً وأنه حاز قدراً أكبر من السلطات تهيؤه لإجراء تغيير وزاري يتناسب مع القدر المتحقق من السلطة المتراكمة في يد الملك الجديد.

لماذا لا ينعكس التغير في موازين القوى على الوزارة؟

هناك احتمالان رئيسيان:

الأول ـ أن الوزارة الحالية لم تأتِ إلا بعد مساومات صعبة بين الجناح السديري وجناح ولي العهد. وإن وصول عبدالله الى سدة الملك لم يغير من التوازن الدقيق كثيراً. بمعنى أن هناك افتراضاً ما يقول بأن الوزارة الحالية شكلت على أساس أن عبد الله إن لم يكن ملكاً واقعاً فإنه كان نصف ملك على الأقل، وبالتالي لم تضف له صف المُلك قوة ذات بال تخوّله لخوض معركة إعادة التوازن في الوزارة على الأقل.

الثاني ـ أن من مصلحة عبدالله كملك أن يجري التغيير بهدوء وبدون إثارة الجناح القابض فعلاً على زمام السلطة، وكأنه هنا يعطي لنفسه فرصة من الوقت لإحداث تغيير في الوجوه تدريجي لصالحه. ويبدو أن الطرفين بحاجة الى تقليص التغيير الى مستوياته الدنيا، لأنه يسبب مشكلة لكلي الجناحين. أي أنه يفتح معارك داخل كل جناح، وبين الجناح والآخر. وهذه مشكلة كبيرة يفضل الطرفان تأجيلها على الأقل، كيما يتم ترتيب بيت كل جناح على حدة وتمضي فترة معقولة على استقرار الحكم الجديد.

ذات المسألة يمكن أن تحدث بشأن تعيين (النائب الثاني للملك) أي ولي العهد القادم في حال وفاة عبد الله. فإذا كانت العيون ترنو الى نايف، فإن ولي العهد يبدو وكأنه قد قرّر سلفاً عدم تعيين أحد في المنصب، وربما إلغاءه ـ أي المنصب ـ من الأساس، كونه استحدث قبل أربعة عقود، ليناسب الوضع الذي كانت عليه العائلة المالكة عشية الإطاحة بالملك سعود في منتصف الستينات؛ وقد جرى حينها اعتماد الجمع بين كرسي الملك وبين (رئاسة الوزراء) وبحيث يصبح ولي العهد نائباً لرئيس الوزراء وليس رئيس الوزراء نفسه، كما حدث في فترة الملك سعود، الأمر الذي سبّب خلافاً أدى الى انشقاق كاد يودي بالعائلة المالكة.



الأصل والنسخة

فما المانع، إذن، من تعديل الوضع الجديد ليتناسب مع المرحلة؟

الملك هو رئيس الوزراء، وولي العهد هو نائبه، وكفى!

وحين يصبح ولي العهد ملكاً، يعيّن له ولياً للعهد دون الوقوع في شرَك الخلافات حالياً؛ أي يمكن ترحيل المشكلة لتكون من نصيب الملك القادم، بدل أن تنفجر بوجه الملك الجديد. لهذا فمن المرجح أن لا تشكل وزارة جديدة، وقد يكتفى بتغيير وزير أو إثنين في الفترة القادمة.

لكن التغييرات فيما دون الطاقم الوزاري قد تكون أكثر تسارعاً، وهناك العديد من الأسماء والمناصب والتغييرات يتم تداولها في الفترة الحالية، من بينها:

– تعيين سعود بن فهد، نائب رئيس الإستخبارات، كنائب لأمير مكة عبدالمجيد بن عبد العزيز، رغم ممانعة هذا الأخير.

ـ تعيين زوج ابنة الملك (عادلة) رئيساً لديوان مجلس الوزراء.

ـ تعيين الطفل المعجزة، عبدالعزيز بن فهد، وزير دولة.

ـ تعيين بندر بن سلطان رئيساً للإستخبارات.

أما بشأن الإصلاحات السياسية، فمن الواضح أنها ليست على أجندة العائلة المالكة. ونقصد بالإصلاحات: الإنتخابات التشريعية، ووضع دستور للبلاد، وانتخاب أعضاء مجلس الشورى، وكذلك انتخاب مجالس المناطق، وإصلاح القضاء، والسماح بقيام مؤسسات المجتمع المدني وتوسيع هامش حرية التعبير وغير ذلك.

بيد أن جماعة الملك عبد الله يحاولون إبقاء صورته حيّة كرجل إصلاح، ويقولون: انتظروا، سترون المعجزات، وأن الملك سيقوم بالإصلاح خطوة فخطوة. لقد أطلق سراح الإصلاحيين الأربعة، وهو يحاول القيام بالإصلاحات الإقتصادية الضرورية، ويحل مشاكل الناس، فقد زاد الرواتب (وهي خطأ اقتصادي ولكنها مكسب سياسي للملك الجديد) ويؤمل أن يحسّن الخدمات ويقلص من حجم البطالة، ويلمحون الى أن الملك سيقلّص من صلاحيات الجناح المعادي للإصلاح (الذي يوصم به الجناح السديري)، وهو قد وجّه للتوّ ضربة لسلطان حين أمر بـ (منع تقبيل اليد)! وهكذا!

وبالرغم من أن المراقبين في داخل وخارج المملكة ينتظرون من الملك الجديد القيام بخطوات عملية في طريق الإصلاح، إلا أن الأقرب الى ما سيحدث هو أن الملك الجديد لن يقوم بشيء، اللهم إلا أن يفاجأنا كما فاجأ السادات الجناح الناصري فصفّاه فيما عرف بـ (ثورة مايو) حيث أطاح بسامي شرف وشعراوي جمعة وغيرهما.

الإنتظار سيكشف الحقيقة.. والحقيقة لا تحتاج الى انتظار كثير. مجرد بضعة أشهر وسيكتشف الجميع ما إذا كان هذا الملك سيعيد إنتاج نفسه كالملك سعود: سلطة غير مستقرة، له الإسم ولغيره الفعل!

أصل وصورة

أمـواج

جهاد ناصر العمر

يزعمون أن عدد السعوديين في العراق لا يزيد عددهم عن ٣٥٠ شخصاً!، بدل أن يكون الرقم ٣٥٠٠ وهو الرقم المتداول منذ سنة على الأقل.

العدد الدقيق علمه عند الله، لكن حسب مواقع الإنترنت الجهادية! فإن نحو ٦٥٪ من الذين قاموا بالعمليات الإنتحارية هم سعوديون.

دراسة لجامعة غربية قالت أنهم يشكلون نحو ٧١٪.

وفي حين ـ ويا للغرابة ـ سلم العراقيون سعودي (أحمد الشايع) فجّر شاحنة (أو فجرها أصحابه وهو فيها حين وصل للهدف) فأصيب بجروح وحروق بالغة، سلم الى بلده، لازالت القوافل السعودية باتجاه العراق تترى. وتنتشر على النت خطابات لناصر العمر تدعو للجهاد في العراق وتحرّض عليه. وليت الدعوة تقتصر على مقاتلة المحتل بل وتستهدف المدنيين والبنى الأساسية للعراق.

ويقولون أن هناك لجنة سعودية لمتابعة وضع المعتقلين السعوديين في العراق، والغرض هو إطلاق سراحهم، بعد الدمار الذي أحدثوه ولازالوا مع جماعة الزرقاوي.

تجربة أفغانستان تتكرر مصغّرة. الحكومة مرتاحة حين تنقل مصائبها لخارج الحدود، والمشايخ يستشعرون لذة الإنتصار المذهبي كلما قتلوا وذبحوا، كما هو تاريخ الوهابية في البلاد وما هو معروف من مذابح تربة والطائف، والتي لم يسلم منها الأطفال والنساء، ذُبحوا ذبح النعاج، نعم (ذبح النعاج!) واقرأوا الكتب الوهابية التي تفاخر بذلك، أو اسألوا بقايا عوائل الضحايا في الحجاز!

* * *

الأمير سلطان: ولدي اللص مجنون!

مساهمات الأراضي والشركات الوهمية وراءها أمراء في الغالب. وفي الغالب هناك واجهات!

لكن أحداً لم يفز بما فاز به إبن السارق الأكبر (ولي العهد) وإسمه سعود بن سلطان.

فقد أسس الرجل مساهمة وأعلن عنها في الصحف وظهر إسم شركة أم القرى، وجمع نحو مليارى ريال (ألفي مليون ريال) فقط.. جمعها من الناس من أجل توظيفها في مشاريع عقارية وغيرها. استلم الأموال، وانتهت الشركة، فصاح عشرات الألوف نادبين حظهم!

اللص يسرق الدولة والناس ولو تمكن لسرق أباه وأخاه!

واللص أراد أن يتهرب بأن وضع شخصاً في الواجهة، وباعه الشركة، قبل بضعة أيام من عملية (التشطيب!) إمعاناً في التضليل!

وهذه ليست المساهمة الأولى التي تنهب ولن تكون!

وهنا أرسلت الإستغاثات الى الأب اللص هو الآخر، سلطان الحرامية. برقيات ورسائل، ودعوات عبر النت، ووساطات الى أن تكللت باللقاء المباشر مع وفد من الضحايا، ممن جمعوا تحويشة العمر فنهبها (الإبن البار/ سر أبيه!).

في الإجتماع قال لهم سلطان الحرامية أب (الحرامية الصغار وبينهم خالد بن سلطان المعروف) بأنهم إنما سلّموا أموالهم الى معتوه (مجنون) وأنه لا حلّ للأمر إلا عبر القضاء!

والقضاء السعودي نزيه كما نعلم وتعلمون!

مع السلامة واقرأوا الفاتحة على فلوسكم، أو اصبروا واحتسبوا الأمر عند الله كما طالب بعض المشايخ!

* * *

يوم وطني

الإحتفال باليوم الوطني بدعة وشرك!

ولا يوجد في المملكة (عيد) وطني!

ولا تمنح الدولة ومؤسساتها يوم عطلة بهذه المناسبة. بل المؤسسات الأجنبية الخاصة تفعل، باعتبار ان الأمر مسألة لا يختلف فيها إثنان في بلدان العالم كله، مع أن هذه الشركات لا تعلم أن الحكومة لا تفعل ما تفعل هي!

هذه السنة سيكون هناك يوم وطني!

يوم فرحة!

اكتشف أباطرة وكرادلة الوهابية، كما اكتشف ال سعود، بأن الروح الوطنية ضعيفة! وأن الناس لا يحبون حكومتهم ولا يدافعون عنها.

إذن لا بد أن يكون هناك يوم وطني، وزرع ثقافة وطنية، بعد أكثر من سبعين سنة من تحريمها ومنعها!

ولكن الوطنية اليوم مبالغ فيها، وهي طبل أجوف، بلا معنى وبلا ثقافة وطنية. هل يمكن أن تكون هناك ثقافة وطنية بوجود الوهابية، وكرادلتها التكفيريين؟!

الجمعة هو ٢٣ سبتمبر، والجمعة عطلة رسمية! وحتى لا يمرّ اليوم الوطني باهتاً منح الجميع هذا العام ولأول مرة عطلة ليوم السبت.

شكراً لكم على وطنيتكم!

وطنية التمييز القبلي والمناطقي والطائفي!

وطنية التي تملك فيها منطقة كل شيء في البلاد وتستحوذ على معظم المناصب!

توقع كاتب إنترنتي أن تطلب الحكومة من خطباء مساجدها ان يمدحوا اليوم الوطني ويحتفوا به في صلاة الجمعة ولكنه يتوقع التالي:

ـ ٤٠٪ من الخطباء سيعارض في خطبه مظاهر الاحتفال باليوم الوطني، وخاصة ان بعض الصحف ذكرت ان بعض الحدائق ستحتفل باليوم الوطني وستقام بها فعاليات، وسيذكر اولئك الخطباء الناس ان ذلك من التشبه المذموم بالكفار.

ـ ٢٠٪ من الخطباء سيلمح تلميحا بسيطا من خلال الخطبه الى ما يبين تذمره من الاحتفال باليوم الوطني.

ـ ١٥٪ من الخطباء لن يظهروا تأييدهم للطريقة التي سيتم بها الاحتفال باليوم الوطني، ولكنهم سيذكرون فضل الله تعالى ثم الملك عبدالعزيز في توحيد هذه البلاد لتكون منارة للاسلام!

ـ ٥٪ من الخطباء سيظهرون تأييديهم المباشر لليوم الوطني.

ـ ٢٠٪ من الخطباء سيؤثرون الصمت وستكون مواضيع خطبهم بعيدة كل البعد عن هذا الحدث.

الحجاز - Microsoft Internet Explorer

File Edit View Favorites Tools Help

Address http://www.alhejazi.net/

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سِفرُ الوجود ومعهدُ الآثار

- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات



عزاؤنا فيك يا فقيد العلم يا عالم مكةَ

ما أظن أن سكان أم القرى وما جاورها قد أصابهم فزع وذعر كما أصابهم نبأ فقدان عالم مكة ورمزها وسيد أهلها، السيد الجليل، والعالم الكبير، السيد محمد بن علوي مالكي الحسني، الذي رحل عنا ونحن في أشد الحاجة لوجوده بيننا.

الحجاز لن يتخلّى عن هويته وتراثه

نخبةَ الحجاز: هموم المرحلةَ وتحديات المستقبل



زعيم الحجاز الديني: تشكيل مؤسسة غير وهابية

من نافلةَ القول التأكيد على أن (الحجاز) وقد سبق له أن كان دولةً تتمتع بكل أجهزةَ الدولةَ الحديثةَ هو الأكثر إخافةً لحكم النجديين الوهابيين من أن يفلت من بين أيديهم، فيخسروا مكانتهم الدينيةَ، وتبقى دعوتهم المتطرفةَ في حدود صحرائها، لا تتمتع بغطاء الحرمين الشريفين وإدارتهما، واللذان من خلالهما يتم فرض المذهب الوهابي وتضليل العالم الإسلامي، بل ومن تحت ذلك الغطاء تتم ممارسةَ أبشع وسائل التدمير لتراث الحجاز وتراث المسلمين.

وإذا كانت أموال النفط قد أمدّت الحكم السعوديةَ ودعوته الدينيةَ المتطرّفةَ بزخم غير عادي لم يتأتى لأي دعوةَ أخرى في العهد الحديث، فإن النفط نفسه ليس مضموناً الى الأبد مادامت سياسات النجديين النقيضةَ لكل ما هو وطني ولكل ما هو عدالةَ ومساواةَ، قائمةَ ومستمرةَ.. فالنفط ومنطقته قد تذهبان أيضاً، بالرغم من الشعور المغالي فيه بالقوةَ الذي بيديه متطرفو الوهابيةَ وآل سعود على حدّ سواء، والذي يظهر وكأن الدنيا والعالم قد توقف عندهم وغير قابل للزوال.

(الدين والملك توأمان)

التحالف المصيري بين الوهابية والعائلة المالكة

كان العامل الديني القوةَ التوحيديةَ الفريدةَ الذي نجح في تشكيل وحدةَ اجتماعيةَ وسياسيةَ منسجمةَ في منطقةَ نجد. فقبل ظهور الدعوةَ الوهابيةَ

القبّة الخضراء فضيّة وبلا هلال!

التطرّف الوهابي لا حدود له.

إنه مرضٌ حقيقي مختزن في صاحبه، قد يوجهه الى الآخر المختلف في الوجهةَ الدينيةَ او المناطقيةَ، لكنه لا يلغي حقيقةَ أن المريض بالتطرّف لا يخرب بيت الآخر بل ينتهي بتخريب بيته. لقد بدأ التطرف في المملكةَ ضد المواطنين الآخرين غير الوهابيين، فساموهم العسف والظلم وهدر الحقوق والكرامةَ، وكانت الحكومةَ تؤيد ذلك وتشرعن الفعل الطائفي المتطرف،

معالم وآثار يهدمها الوهابيون

المساجد السبعة.. قيمة لها تاريخ



مسجد سلمان الفارسي

من المعالم التي يزورها القادمون إلى المدينةَ المساجد السبعةَ، وهي مجموعةَ مساجد صغيرةَ عددها الحقيقي ستةَ وليس سبعةَ، ولكنها اشتهرت بهذا الاسم، ويرى بعضهم أن مسجد القبلتين يضاف إليها؛ لأن من يزورها يزور ذلك المسجد أيضاً في نفس الرحلةَ فيصبح عددها سبعةَ.

وهناك روايات حديثيةَ لابن شبةَ تحدث فيها عن مسجد الفتح وعن عدةَ مساجد حوله. وقد روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في تلك المساجد كلها التي حول المسجد

My Computer

http://www.alhejazi.net الحجاز على الانترنت



لوحة للفنانة صفية بن زقر